وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: علم الاجتماع

مطبوعة الدعم البيداغوجي عبر الخط

"النظريات المعاصرة في علم الاجتماع"

المقياس: النظريات المعاصرة في علم الاجتماع

التخصص: علم الاجتماع

المستوى: الثالثة ليسانس

من إعداد: د. ياسين سعادة

السنة الجامعية 2022- 2023

فهرست المواضيع

المحاضرة الأولى: في مفهوم علم الاجتماع 04
- في موضوع علم الاجتماع 04
- الواقع الاجتماعي علاقاتي 04

المحاضرة الثانية: الإطار النظري العام 06
- تعريف البارادايغم 06
- البارادايغم القطعي 06
- البارادايغم الفعلوي.....06
- الكليانية المنهجية 07
- الفردانية المنهجية 07

المحاضرة الثالثة: البارادايغمات 09
1- البارادايغم القطعي.....09
- البارديغمات المنتمية للبارادايغم القطعي.....09

أ- البارادايغم الوظيفي.....09
ب- البنيوية و التحليل النسقي.....09
ج- البنيوية البنائية.....10
2- البارادايغم الفعلوي.....10
- البارادايغمات المنتمية للبارادايغم الفعلوي.....11

أ- نماذج التحليل الاستراتيجي.....11
أ-1- التحليل الاستراتيجي(كروزيي، فريدبرغ).....11
أ-2- الاقتراب المسرحي (غوفمان).....12
ب- نماذج الفردانية المنهجية.....12
ب-1- الفردانية المنهجية 12
ب-2- الاختيار العقلاني 13

المحاضرة الرابعة: نيكلاس لوهمان و نظرية الأنساق.....15
نشأة نيكلاس لوهمان.....15
نظرية الأنساق.....16
المجتمع يتشكّل بالسلوك التواصلي.....18
الانتقادات و الاستخدامات التي طالت نظرية لوهمان.....19

المحاضرة الخامسة: آلان توران و نقد الحداثة.....20
التدخل السوسيولوجي.....21
مفاهيم آلان توران.....21
ميزات التاريخانية 22
مبادئ الوجود.....23

عودة الفاعل.....23
المحاضرة السادسة: نظرية ما بعد الحداثة.....26
مفهوم الحداثة.....26
مفهوم ما بعد الحداثة 26
تعريف نظرية ما بعد الحداثة 27
عوامل نشأة ما بعد الحداثة 28
الجذور الفكرية لنظرية ما بعد الحداثة 28
رواد نظرية ما بعد الحداثة 29
1- جون بودريار 29
2- جون فرانسوا ليوتار.....30
3- سكوت لاش 31
4- نيكوس ميزليس.....31
تقييم نظرية ما بعد الحداثة 31
المحاضرة السابعة: نظرية ما بعد البنيوية.....33
مفهوم البنيوية.....33
ما بعد البنيوية.....33
السيميولوجيا في ما بعد البنيوية.....33
التفكيكية في ما بعد البنيوية.....34
الجذور الفكرية لنظرية ما بعد البنيوية.....34
أهم الإسهامات التي قدمها رواد النظرية 35
1- ميشال فوكو و البنيوية الثقافية.....35
2- جاك دريدا و نظرية المعاني.....36
3- هيرست بول و مجال الفعل الاجتماعي.....36
تقييم نظرية ما بعد البنيوية.....36
المحاضرة الثامنة: الماركسية المحدثة.....38
الجذور الفكرية للنظرية الماركسية المحدثة.....38
مفهوم النظرية الماركسية المحدثة.....38
رواد الماركسية المحدثة.....38
1- دافيد لوكوود: النسق و الطبقية في المجتمع الحديث.....38
2- رالف دهرندورف و الصراع في مجتمع ما بعد الرأسمالية.....39
3- لويس كوزر و التفسير الطبقي للصراع.....40
4- فرانك باركن: القيم و الصراع في المجتمع الحديث.....41
5- راندل كولينز و تحليل الصراع.....41
تقييم النظرية.....41

المحاضرة الأولى: في مفهوم علم الاجتماع

في موضوع علم الاجتماع:

عندما نتحدّث عن مأسسة علم الاجتماع هنا نقصد الإضافات الكبرى التي قدّمت لهذا العلم... هذه الإضافات هي **الوضعية، المثالية، الظواهرية، السلوكية الاجتماعية، نظرية المعرفة** و **النظرية النقدية،** و هي القواعد النهائية لهذا العلم بعد قرنين من الممارسة...هذه الأضافات في الحقيقة ما هي إلّا تصوّرات لما يفترض أن يكون موضوعا لعلم الاجتماع...كل واحدة من هذه النظريات تعرّف بطريقتها **"الاجتماعي" « le social »** : **وحدة، مجموعة، عملية ميكانيكية، عملية رمزية، حقيقة ملموسة، حقيقة رمزية.**

الاجتماعي **ظاهرة حقيقية** بالنسبة لدوركهايم، هو **وقود روحي** بالنسبة لفيبر، هو **علاقة صراعية** بالنسبة لماركس،هو **علاقة بالمعيشي** بالنسبة لباريتو، هو **نسق قيمي** بالنسبة لبارسونز، هو **وقود الحقيقة** بالنسبة لألفرد شوتز، هو ت**فاعل رمزي** بالنسبة لهربرت ميد و هربرت بلومر، هو **في الأوّل طقوسي** بالنسبة لغوفمان، هو **نشاط كلامي** بالنسبة لهابرماس، و هو **بنية توليدية** بالنسبة لبيار بورديو.

الواقع الاجتماعي هو علاقاتي Le réel est relationnel

الواقع الاجتماعي الذي هو موضوع علم الاجتماع هو في تصوره السوسيولوجي علاقاتي. لقد أظهرت أبحاث عالم الاجتماع البريطاني ريتشارد هوقارت Richard HOGGART في دراسته حول "ثقافة الفقير" أنّه لا يمكن فهم الثقافة العمالية دون الأخذ بعين الاعتبار مكانة الطبقات الشعبية داخل النسق الاجتماعي. ارفينغ غوفمان Erwing GOFFMAN فسّر سلوكات المرضى العقليين في كتابه " المنفى" « asiles » بالبنية المجتمعية للمؤسّسة الشمولية. هوارد بيكر Howard BECKER درس الانحراف في كتابه " الغرباء" أو " الخارجيون" « outsiders » كعملية تفاعلية بين المنحرفين و غير المنحرفين، و كذلك بين الجماعات المنحرفة ذاتها. عملية تحديث المجتمعات الغربية خضعت للتحليل من طرف دوركهايم كتحوّل لأشكال التضامن بين الأفراد، و من طرف نوربارت الياس Norbert ELIAS في كتابه " في عملية التحضّر" « sur le processus de civilisation » كتنامي للارتباطات البينية. مارسال موس Marcel MAUSS درس نسق التبادل الذي شكّلته الهبة في كتابه الشهير " محاولات حول الهبة"« essais sur le don » .

كل واحد من هؤلاء درس ليس ما يحدث في قيادة مجموعة اجتماعية أو فاعل معيّن، و لكن ما يحدث بين مختلف المجموعات و الفاعلين، أي العلاقات الحادثة بينهم. و لا توجد الحياة الاجتماعية الا بهذه العلاقة. و تكون الوحدة الأساسية لا الفرد و لا الجماعة لذاتها، و لكن العلاقة التي تجمع الأفراد فيما بينهم، و الجماعات فيما بينها. و مهمة علم الاجتماع الأساسية هي دراسة العلاقات الاجتماعية (الرباط الاجتماعي) في تمظهراتها المختلفة، وكما يقول بيار بورديو Pierre BOURDIEU في كتابه القيم " التميّز" « la distinction »" الواقعي هو علاقاتي"

le réel est relationnel ، و الواقعي هو الموضوع الرئيس لعلم الاجتماع.

التفسير العلاقاتي يعارض التفسير الجوهري أو الأساسي الذي ينص على اعتبار السلوكات و الأفعال كملك خاص للأفراد و الجماعات التي تتبناها، بل هو ينص على أنّ السلوكات و الأفعال تتموضع و تأخذ مكانها داخل العلاقات الاجتماعية. بالنسبة لعالم الاجتماع إنّ أذواق الطبقات العمالية الخاصة بالمتعة الظرفية مع الأقارب تفسّر بالمكانة في البنية المجتمعية لا بالملكية الطبيعية للعمال. الانحراف ليس طبعا خاصا ببعض الأشخاص السيّئين، و لكنه نتيجة لعلاقات اجتماعية.

يتساءل بورديو لماذا يخضع الأفراد و خاصة المهيمين عليهم ثقافيا لمعايير محدّدة من الآخرين، و يلعبون جيّدا الأدوار المنتظرة منهم في لعبة اجتماعية و ثقافية يكونون دائما المغلوبين فيها؟ الإجابة تكمن في عملية التلقين و التنشئة الاجتماعية...النظام الاجتماعي يتسجّل تدريجيا في الأذهان... الحدود الموضوعية تصبح معنى للحدود...فيطلب الفرد أن يكون مقصيّا ممّا هو مقصى منه أصلا.

المحاضرة الثانية: الإطار النظري العام

I- تعريف البارادیغم: ظهرت كلمة بارادیغم أواخر الستينيات لتشير إلى أي نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي أو موضوع متصل بنظرية المعرفة. و البارادیغم هو **" النموذج الفكري"** او **"النموذج الإدراكي"** أو **"الإطار النظري"**، و هو نموذج يشكل البناء التحتي لفكر ما و يحدّد بنيته و يطرح حوله أسئلة محددة. فضلا عن هذا ينظم معطياته وفق بنى و محيطات متعدّدة.

مصطلح البارادیغم مصطلح يحتاج إلى توضيح ، فهو يحمل العديد من المعاني. يمكننا استعماله في بالبداية بالمعني الذي يستعمله النحويون حيث يعني لهم **" نموذج اشتقاقي و صرفي يمكننا من خلاله إظهار سلسلة من الظواهر النحوية"**. في مجال علم الاجتماع التعبيرات الأكثر شهرة في هذا المجال تتعلّق ب**نشاة الرأسمالية، التنشئة المستبقة، نووية المؤسّسة العائلية** و **صراع الطبقات**. و من بين المعاني الأخرى المعترف بها هنا يمكننا الحديث عن **"مصنّفة متخصّصة"**، عن **" الاسطورة المؤسِّسة"**، أو عن **"تيار أو مدرسة فكرية"**.يتوجّب علينا ان نصنّف هذه المعاني حتى نحيّن (mise a jour) مختلف النقاشات المتعلّقة بالاندماج و الصراع، النزعة الاسمية و النزعة الهولية، البنية و القصدية مع التركيز على مفاهيم الوساطة، التفاعل و الثنائية. و إذا أخذنا الامر من هذا المفهوم الاخير يمكننا الحديث ثنائية التعبير في تكوين علم الاجتماع فمن ثنائية الوضعية و العقلانية، إلى ثنائية التفسيرو الفهم ، إلى ثنائية الكم و الكيف، إلى ثنائية الشمولية و الفردانية . و على هذا يمكننا الحديث فيما تعلّق بالبارادیغمات عن ثنائية التصوّر ، حيث يتكوّن علم الاجتماع من بارادیغمين كبيرين ينقسمان بدورهما إلى عدّة بارادیغمات فرعية تنقسم بدورها إلى بارادیغمات فرعية ثانية ، و ذلك على حسب درجة التعقيد النظري. و البارادیغمان الرئيسيان في علم الاجتماع هما:

1- **البارادیغم القطعي: (التحديدي déterministe)**الاقتراب القطعي للواقع الاجتماعي ينبني أساسا على اقتراحين: الاقتراح الأوّل ينص على أنّه لا يمكن تفسير أي حدث اجتماعي إلّا بظواهر تكون سابقة له زمنيّا. أمّا الاقتراح الثاني فهو مستنتج منطقيّا من الأوّل و ينص على الخاصية الخارجية لهذه الظواهر التي يستنبطها الفرد، و التي توجّه بالتالي نشاطاته و أفعاله. و ينتمي هذا البارادیغم إلى التصوّر الشمولي في علم الاجتماع الذي يقر بأسبقية المجتمع على الفرد. و يتفرّع هذا البارادیغم إلى عدّة بارادیغمات كالوظيفية و البنيوية و التحليل النسقي..الخ.

2- **البارادیغم الفعلوي أو التفاعلي:** البارادیغم التفاعلي ولد كردّة فعل على الوضعية و التصوّر الوضعي للعلوم الاجتماعية اللصيقة بنموذج العلوم الطبيعية التي تعتبر الأحداث الاجتماعية كأشياء، و هو ينص على العكس من ذلك أنّ أي محاولة للتفسير وجب أن تمر عبر الفرد الذي يعتبر الوحدة الأساسية للتحليل السوسيولوجي.و بارادیغمات التحليل الاستراتيجي، و التفاعلية الرمزية و الفردانية المنهجية تنتمي لهذا البارادیغم.

و تنطوي تحت كل من هذين البراديغمين العديد من النظريات بعضها كبرى، و بعضها متوسطة المدى، و بعضها لا يعدو ان يكون مجرد فكرة او تصور بسيط. و مثال ذلك:

أ- **الكليانية المنهجية holisme méthodologique**

و هو اقتراب نظري ينص على تحليل المجتمع على المستوى الشامل. في هذا التصوّر إنّ الخصائص البنيوية هي التي تسمح بتفسير و تأويل الظواهر و السلوكات الفردية. المستهلك، الناخب، المتظاهر، الزوج، المنتحر ليست شوارد منعزلة. هم ينشطون و يفعلون تحت تأثير النماذج الثقافية أي السلوكات، الأذواق و القيم المستنبطة خلال مراحل عملية التنشئة الاجتماعية في وسطهم الأصلي. مصطلح "الهابيتوس" " المَلَكَة" مثلا هو عنصر مفتاح للمقاربات الهولية (الكليانية) لأنّه يسمح بإظهار خلف مظاهر الأحداث الفردية الحقيقة الخفيّة لتأثير الجماعة.

ب- **الفردانية المنهجية individualisme methodologique**

و هي مقاربة نظرية تنص على اعتبار الظواهر العامة نتيجة تفاعل مجموعة من الظواهر و السلوكات الفردية. أحسن مثال عن ذلك هو الذي تعطيه النظرية النيو كلاسيكية للسوق: المستهلك و المنتج ينظر إليهما كفاعلين مستقلين (ميكرو اقتصاد) و التقائهما يفسّر الحالة العامة (الماكرو اقتصاد): ثمن الكمية المتبادلة هو النتيجة البسيطة لتفاعل كميات و أثمان العروض و الطلبات الفردية. في هذه المقاربات تأثير البنى على الأفعال الفردية لا يعطي أبدا التفسير النهائي للأفعال الفردية: الفرد ليس مفعّل بل هو فاعل. عالم الاجتماع وجب عليه إذا البحث عن الأسباب الحقيقية الفردية التي حفّزت الفرد، لا الوقوع في خطأ التفسير الكلياني (خاصة المعايير الثقافية الخاصة بوسطه عبر الهابيتوس). مصطلحات نتائج التشكيلن التجميع، النشوء و البروز هي مصطلحات رئيسية لأنّها تظهر العلاقة بين الظواهر الفردية و النتائج الكليانية.

كما يمكن للبراديغم ان يكون فكرة نظرية خصبة قد تتفرّع إلى نظريات فرعية أو تفتح المجال لدراسات عديدة و مناهج متنوّعة، و هذه أمثلة متوّعة من براديغمات سوسيولوجية:

1- براديغم نشأة الرأسمالية (ماكس فيبر). MAX Weber

يتحوّل البورجوازي إلى مقاول عندما يرى في الثروات لا فرصة للاحتكار أو حياة البدخ بل رأسمال أو استثمار منتج. الاخلاق الدينية للكالفينية (فرع من الديانة البروتستانتية) تتطابق مع أيديولوجية المقاول الرأسمالي.

2- براديغم التنشئة المستبقة: (روبرت مرتون).Robert MERTON

يميل الأفراد لامتلاك قيم و سلوكات المجموعات التي يريدون ان ينتموا اليها اكثر من المجموعات التي ينتموا فعلا إليها.

3- براديغم الحرمان النسبي (ساموال أندرو ستوفر).Samuel Andrew STOUFFER

إذا كانت المعايير الاجتماعية واضحة و ثابتة في أعين الأفراد فإنّ هؤلاء سوف يقلّصون طموحاتهم على حسب هذه المعايير. أمّا إذا كانت مبهمة و غير ثابتة فإنّ الأفراد يتبنون طموحات تفوق إمكانات تحقيقها، فيشعرون بعد ذلك بالحرمان.

4- باراديغم العائلة النووية (تالكوت بارسونز) Talcott PARSONS

تطوّر المجتمع الصناعي ينجم عنه حراك سكاني ، و بالتالي استقلال الأبناء، و هو ما ينجر عنه "نووية الأسرة"

5- باراديغم الفعل الجماعي (مانكور أولسون) Mancur OLSON

ليس للفرد أي منفعة للنشاط في المنظمة التي تمنح مزايا و خدمات للجميع بما أنّه سينتفع بها على كل حال. مشاركته في هذه المنظمة متعلّق بمنح هذه المنظّمة لإشباعات فردية.

6- باراديغم الديموقراطية. (ألكسي دو طوكفيل) Alexis DE TOCQUEVILLE

المساواتية شأن المجتمعات الديموقراطية، و كلما تطوّر مفهوم المساواة كلّما أصبحت التفاوتات (اللا مساواة) مقلقة و مزعجة بل و مروّعة تغذي شعور ضرورة المطالبة بالمساواة.(يعني أنّ هناك علاقة جدلية بين مفهوم المساواة و المطالبة بها).

7- باراديغم شيكاغو (روبرت بارك و إرنست بورغس) Robert PARK، Ernest BURGESS

تعمير المدن يتم عبر مناطق متحدة المركز، و بتجمّع المجموعات الإثنية و الاجتماعية المختلفة

8- باراديغم صراع الطبقات (كارل ماركس) Karl MARX

الفلاحين و الطبقات المتوسّطة عليهم التوزّع بين البرجوازية و البرولتاريا التي سوف تخلف البرجوازية كطبقة مسيطرة في انتظار المجتمع دون طبقات.

9- باراديغم منطق الإشارات (جون بودرييارد) Jean BAUDRILLARD

في مجتمعات الرخاء و البدخ يمتلك المستهلك إشارات اجتماعية في نفس الوقت الذي يشتري سلعا و خدمات؛ منطق الإشارات يأخذ مكان منطق الحاجات، و بالتالي يتحكّم في اختياراته أكثر من تحكم المنفعة في عملية الاستهلاك.

المحاضرة الثالثة: البارادیغمات

1- البارادیغم القطعي أو التحدیدي:في تمظهراته النمطية يركّز هذا البارادیغم على الإلزاميات التي تدفع الأفراد إلى اتخاذ هذا المنحى السلوكي أو ذاك.

في حديثه عن فكرة خارجية الظاهرة الاجتماعية عن الضمائر الفردية ذكر دوركهايم في *"قواعد المنهج السوسيولوجي"*: " نسق الرموز التي أَستعمِلُها للتعبير عن أفكاري، نسق النقود التي أقدّمها لتسديد ديوني، وسائل القرض التي أَستعمِلُها في علاقاتي التجارية، التطبيقات المتّبعة في مهنتي...الخ كلّها تعمل مستقلّة عن الطريقة التي أنتهجها شخصيا. و إذا أخذنا كل فرد من أفراد المجتمع فإنّ ما قيل من قبل ينطبق عاى كل واحد منهم. طرق العمل و التغيير و الشعور هذه لها خاصية مميّزة و هي وجودها خارج الضمائر الفردية. انماط السلوك و التفكير هذه ليس فقط مستقلة عن الضمائر الفردية بل لها قوة إلزامية و إكراهية و جبرية عاى إرادة الأفراد شائوا ام أبوا ".

هذه القطعية الكلاسيكية حتى و إن لم تغفل عن الصراع الاجتماعي أو المجتمعي إلّا أنّها تعتبره أحد التمظهرات الهامشية او أحد مظاهر الأمراض المجتمعية التي سوف تزول او تُعالج عن طريق انسجام النظام الاجتماعي.

البارادیغمات المنتمية للبارديغم القطعي:

ا- البارادیغم الوظيفي (الوظيفية)paradigme fonctionnaliste :

عوض الانطلاق من الظروف الاجتماعية التي تحدّد سير الفعل أو النشاط الاجتماعي فإنّ الوظيفية تقلب التفسير لتنطلق من غايات النشاط و الفعل التي تأتي هي بسيرورته. فلا يتعلّق الأمر بالتساؤل عن دوافع الأفراد للزواج مثلا ،أو الاحتفال، أو اللعب، أو حتى الجريمة بل يتعلّق بالتساؤل عن المتطلبات و الحاجات التي تجيب عنها سلوكات القرابة، و الاحتفال، و المرح، و الإجرام. و ينطلق هذا من الافتراض الأساسي أنّ كل فعل و نشاط هو استجابة حتمية لحاجة من الحاجات الاجتماعية (انظر وظيفية مالنوفسكي).

و يبرز المفهوم التحديدي أو القطعي هنا لأنّ المنطق الوظيفي لا يخرج عن الإشكالية السببية...سببية فعالة فكل ظاهرة تكون سببا في ظاهرة أخرى، و سببية غائية بمعنى أنّ كل ظاهرة هي استجابة لحاجة اجتماعية، و هي تساهم ضرورةً في وظيفية لا في تطوّر الوحدة التي تظهر فيها.

هذه الوظيفية المطلقة تستعمل المناظرة العضوية بين المجتمع و جسم الإنسان و هو ما جعلها تشتهر بالمحافِظة التي لازمتها إلى اليوم.

ب- البنيوية و التحليل النسقيparadigme structuraliste et l'analyse systemique:

(نيكلاس لومان، كلود ليفي ستروس،جورج غورفيتش...الخ)

البارادیغم البنيوي يدور حول المفهوم المزدحم "البنية"، و تلصقه استعمالاته بمفاهيم "النسق"، " الشمولية"، " الديمومة"، " التخفّي" و " الأساسية"..الخ.

علماء الاجتماع المنتمون لهذا التيار دون الخوض في نوايا، مشاريع، و تمثلات الأفراد و الجماعات يقترحون إشكالية موضوعية تسمح بإظهارحسب تعبير جاك هرمان Jacques HERMAN " *محفل الإنتاج الخفي للواقع الاجتماعي الظاهر*". و هذا يعني انّ الجهود سوف ترتكز لإظهار الهياكل التي تحمل

بطريقة دائمة البناء الاجتماعي الذي يُتصَوَّر كنسق بإظهار أنساقه، و أنساقه الفرعية، و أنساق أنساقه الفرعية.

ج- البنيوية البنائية structuralisme constructiviste: نوربرت إلياس، بورديو،أنطوني جيدنس)

منذ نهاية ثلاثينيات القرن الماضي بلور نوربرت إلياس Norbert ELIAS نظرية حاولت أن تتجاوز التعارض بين تصوّر للعالم الاجتماعي يهتم اكثر بمتطلبات وحدة عضوية تسمى "مجتمع" على حساب الأفعال، النشاطات و الإنجازات الفردية من جهة، و بين تصوّر يضع هذه الأخيرة (الأفعال، النشاطات و الإنجازات الفردية) كالأساس الوحيد لوجود الجمعي و المجتمعي من جهة ثانية.

أظهر إلياس أنّ التمثّلات المعاصرة للفرد و ضميره الذاتي الفردي(هذا الضمير الذي يحدث القطيعة بين الفردانية الذاتية و الخارجية الاجتماعية) هي بناءات تاريخية ،و هي ثمرة تطوّر المجتمعات الغربية. التمثّلات الحديثة (الفردانية، الضمير و العقل) تناسبت مع مرحلة إعادة تشكيل البنى المجتمعية بعد نهاية العصور الوسطى.

عملية التحضّر (بناء الحضارة) التي بواسطتها نمت سلطة الدولة و احتكارها للعنف (انطلاقا من تنامي قوة القانون الذي يعطي الشرعية للردع و العقاب للسلطة القائمة) و التي بواسطتها يتعقّد المجتمع في وظائفه و ارتباطاته العضوية مرتبطة جدا برقابة ذات صرامة متزايدة و استبطان متصاعد للدوافع و التأثّرات على شكل رقابة ذاتية " تتحكّم الخاصية البشرية اوّلا في ضميره، ثم شخصيته و تاخذ شكلها الخاص بعلاقتها بالآخرين و عبر علاقتها بالآخرين".

تتميّز المجتمعات الحديثة إذا بتعقيد متزايد للارتباطات الوظيفية بين الأفراد، و سليسلة متطاولة للارتباطات البينية، و ميلاد ضمير فردي للذات بشعور مستقل عن المجتمع.

الختيار الباراديغماتي لبيار بورديو يتأرجح بين من جهة قطعية الطبقات التي تنص على وجود هيئات مهيمنة تجتهد لإعادة إنتاج نظام قائم يخدمهم مثل "نبالة الدولة' او مثل مؤسّسة تربوية تؤكّد التفاوتات الاجتماعية، و من جهة ثانية ما يسمّيه هو بنيوية بنائية التي تنزه الفرد (او الفاعل الاجتماعي) من امكانيات التأويل و منه هامش استقلالية في الاوساط و الحقول التي يستوجب عليه وضع استراتيجية فيها. يقول بورديو:" أقصد بمصطلح "بنيوية" أنّه يوجد في العالم الاجتماعي نفسه و ليس فقط في الانساق الرمزية، اللغة، الأساطير ...الخ بنى موضوعية مستقلة عن ضمير و إرادة الفاعلين(..) و أقصد بمصطلح بنائية وجود ميلاد اجتماعي من جهة لمخطّطات التصورات و الأفكار و الأفعال المشكّلة لما أسمّيه " الهابيتوس" habitus ، و من جهة ثانية للبنى الاجتماعية، و خاصة لما أسمّيه الحقول و الجماعات، و بالأخص ما نسميه عادة بالطبقات الاجتماعية.

2- الباراديغم الفعلوي و التفاعلي:

الباراديغم العام: ولد هذا الباراديغم من ردّة فعل ضد وضعية تصوّر للعلوم الاجتماعية مرتبط كثيرا بنموذج العلوم الطبيعية الذي يعتبر الظواهر الاجتماعية أشياء. و هو ينص على العكس من ذلك أنّ كل محاولة تفسير يجب ان تمر بالضرورة عبر الفرد الذي يعد الوحدة القاعدية للتحليل السوسيولوجي. من هنا، بعيدا عن اعتبار المؤسّسات، التنظيمات، أو بصورة أعم الظواهر الاجتماعية كعوامل قبلية أو بعدية

للأفراد، فالباراديغم الفعلوي يقترح تحليل نشاطات الفاعلين كعناصر مشكِّلة لهذه الظواهر بصورة انّه إذا أمكن للمؤسّسات الاجتماعية مثل الأسرة، المدرسة،المسجد، الشركة الاقتصادية أن تظهر كمحدّدات للفعل الاجتماعي يمكنها أيضا ان تؤخذ على أنّها ثمرة الفعل و التفاعل بين الأفراد.و بالتالي فإنّ السوسيولوجيين الفعلويين و التفاعليين على عكس علماء اجتماع الباراديغم القطعي سوف يهتمون بنوايا و مشاريع الفاعلين الاجتماعيين.

تظهر الظاهرة الاجتماعية كنتيجة علاقات متعدّدة، تقاطع و تدخّل سلوكات بشرية و من هنا جاء مفهوم التفاعل الاجتماعي. في هذا الباراديغم لم يعد الصراع حدثا مزعجا للوظيفة المتناسقة للمجتمع، بل أصبح أصلا للمؤسّسات و التنظيمات التي تهيكله، و للعلاقات الاجتماعية المترتّبة عليه.

الباراديغمات المنتمية للباراديغم التفاعلي

أ- نماذج التحليل الاستراتيجي: المقاربة الاستراتيجية تندرج ضمن تصوّر فعلوي لعلم الاجتماع رافضا بذلك لمبدأ خارجية الظواهر الاجتماعية و ما يتبع ذلك ميكانيكيا من تأويل لها بمنطق سببي. لكن علماء الاجتماع الذين بنوا أنساقهم التفسيرية حول مفاهيم السلطة و الاستراتيجية يُمَوْضِعون حقولهم التحليلية في مستويات مختلفة (جماعاتية، تنظيمية، مجتمعية)، و في سياقات من طبيعة مختلفة. على المستوى التنظيمي قام ميشال كروزي Michel CROSIER و إيرارد فريدبرغ Erhard FRIEDBERG بالبحث و التقصي في الشركات أو التنظيمات ذات الغاية الاقتصادية، بينما اهتم إرفينغ غوفمان Erwing GOFFMAN بما أسماه " المؤسّسات الشمولية"، بينما على المستوى المجتمعي فإنّ سوسيولوجيا الفعل كما يتصوّرها ألان توران Alain TOURAINE تهدف الحركات الاحتجاجية الكبيرة، و تحوّلات المجتمع تسعى هذه الحركات إلى تحقيقها.

أ-1- التحليل الاستراتيجي (كروزيي، فريدبرغ)

"على الرغم من كل أوهام منظّري الهيمنة و الانعكاسات الشرطية، و على الرغم أيضا من نزوات كل القوى و التبسيط التي تظهر دائما عند الرجال الفاعلين. يجب إذا الإعلان بكل قوة أنّ السلوك البشري لا يمكن إدماجه بأي حال من الأحوال بالمنتوج الميكانيكي للطاعة أو ضغط المعطيات البنيوية. هي في كل الأحوال تعبير و من إنتاج حريّة مهما كانت ضئيلة".(من كلام ميشال كروزيي في كتاب ' الفاعل و النسق')

وضع كروزيي و فريدبرغ المبدأ الذي ينص على أنّ الفرد لا يكون مجبرا كليّةً أبدًا داخل التنظيم مهما كان هذا التنظيم قسري (او قهري): ذلك أنّه لا يمكن إيجاد القوانين و القواعد الخاصة بكل الحالات و كل المشاكل، و بالتالي لا يمكن أن تكون الأمور مضبوطة بقوانين او قواعد محدّدة بحيث تجعل الفرد مجبرا على اتباع الطريقة الوحيدة الممكنة. و هذا ما ينتج عنه مجالا للحريّة يستغلّها الفاعل نسميها " مجالات الارتياب" تأتي نتيجة النقائص الموجودة في النسق.

استراتيجية الفاعل تقوم على استغلال " مجالات او مناطق الارتياب"، و التحكّم في منابعها بفرض منطقه و قانونه و رؤيته لطريقة حل المشاكل (استراتيجية هجومية)، و تجنّب ان يفرض عليه قانون و رؤية و طريقة حل الآخرين للمشاكل للمحافظة على مجال الحريّة الموجود (استراتيجية دفاعية).

التحليل الاستراتيجي لا يغفل عن النسق فالفاعل يصطدم بالنسق أثناء آداء وظائفه و مهامه، و بالتالي يواجه مقاومات البنى التي ينتمي إليها، لكن التحليل الاستراتيجي عوض الانطلاق من النسق ليصل إلى الفاعل حيث فضّل كروزيي و فريدبرغ القيام بالعملية العكسية باستعمال مناظرة اللعب و القمار.

مقاربة مثل هذه تجرّ إلى اعتبار التنظيم لعبة الفاعلين و إلى عدم رؤية النظام إلّا " أنساق الفعل الملموسة"، و ذلك بسبب شرطين اثنين: شرط لعب الفاعلين، و شرط قواعد اللعبة بالنسبة للنسق الذي بعيدا عن بقائه ثابتا فهو يتحوّل و يتغيّر على عدّة مستويات في النسق.

أ-2- الاقتراب المسرحي لغوفمان: التفاعليون الأمريكيون يستعملون مصطلح " التفاعل" للتعبير عن القيمة الدنيا للتبادلات الاجتماعية، و تعيين حالة اجتماعية أين يقوم و ينشط كل فرد حسب تأويلاته لسلوكات و أفعال الآخرين. يتعلّق الامر بمفهوم امبريقي بالدرجة الأولى يفكّك البنى الاجتماعية إلى ميكرو بنى (بنى صغيرة) و المقصود بها هنا : التفاعلات.

هذا التحليل البسيكوسوسيولوجي يستند على نقدر للمقاربة الوظيفية التي أخطأت (حسبه) في مغالاتها عن دور التنشئة الاجتماعية و الأدوار الجامدة للفاعلين الاجتماعيين...بالنسبة للتفاعليين، على العكس من ذلك هناك الكثير من الحالات تبقى غامضة، و تترك مجالا نسبيًّا للحركة و الارتجال.

يبرز إرفينغ غوفمان جيّدا هذه الاطروحة في كتابه القيّم " المصحّات" « asiles » الذي يظهر فيه كيف تقبل مؤسّسة شمولية لجوئية (مصحة الأمراض العقلية) إضافة إلى القواعد و المعايير المؤسّساتية تكييفات ثانوية.هذه التكييفات تمثّل بالنسبة للفرد الوسيلة للخروج عن الدور و الشخصية التي منحتهما المؤسّسة بطريقة طبيعية.

إذا أصرّ غوفمان كثيرا في كتابيه "المصحّة" (asile) و " الوصمة" (stigmate) عن الاستراتيجيات التي يمكن للفرد ان يطوّرها عند خضوعه للمؤسّسات الشمولية او للعراقيل فإنّه عرف مجده العلمي في اللعبة المسرحية للتفاعلات اليومية.

في " إخراج الحياة اليومية" « la mise en scène de la vie quotidienne » يصف لنا غوفمان طقس التفاعل وجها لوجه على النموذج المسرحي. يتعلّق الأمر بنسق اجتماعي مصغّر يُلعب بين الممثلين و الآخرين الذين يشكّلون الجمهور. بهذا التفاعل يقصد غوفمان التأثير المتبادل الذي يقيمه الممثلون الزملاء على أفعالهم تواليا لما يكونون في حضور فيزيقي مع بعض.

أصالة اقتراب غوفمان تكمن في خطابه عن الهويّة. بنية الانا التي تتطلّب أن نبقي تعريفا واحدا عن كل حالة، عن كل تفاعل.إبقاء الهويّة الشخصية التي تبقى دائما في خطر يتطلّب استراتيجيات خاصة سواء من الشخص العادي أو الشخص صاحب " الملصقة". نظام طقوسي يحكم بصورة أساسية هذه التفاعلات، و هو نظام مبني على فكرة عدم فقد ماء الوجه و عدم إفقادها.

ب- نماذج الفردانية المنهجية:

ب-1- الفردانية المنهجية: " يجب أن نقر بالأمر، النظريات العامة للتغيّر الاجتماعي لا توجد، و لا يمكنها أن توجد" أقرّ ريمون بودون Raymond BOUDON الذي وجد في التقليد السوسيولوجي الألماني الذي وضعه ماكس فيبر و جورج زيمل الأسس النظرية للفردانية المنهجية.

نعلم أنّ علم الاقتصاد موجود في مسلّمة في علم النفس، و هي التي تنص على أنّ الإنسان مشبّع أساسا بالبحث الغريزي عن منفعته و مصلحته. من هذه المسلّمة خرج الحساب الاقتصادي الذي من خلاله يهدف الإنسان إلى تأويج (البحث عن الأوج) فائدته و التقليل من خسائره.

ينطلق بودون من نفس المسلّمة النفعية لا لإغراق التحليل السوسيولوجي في الاقتصاد، و لكن للتعريف و التأكيد على مقاربة فردانية للمجتمع. في هذا التصوّر يوسّع بودون الحساب الذي من المفروض أن يقوم به كل شخص على افتراضات و تقييم للفرص. بذلك، فكل شيئ يحدث و كأنّ كل فرد يفكّر من جهته و يجمع أفعاله مع أفعال الآخرين دون أن يكون لا تشاور و لا أي تأثير اجتماعي بينهم. من وجهة النظر هذه تصبح الظاهرة الاجتماعية " مجموع هذه التأثيرات الفردية الضئيلة". يتبع ذلك انّ الظواهر الاجتماعية لا يمكن إدماجها لأيّة قوة قاهرة ما عدا الإرادة الفردية التي تسمح بتحقيق الهدف المسطّر من طرف المتغيّرات النفعية. إذا حدث أن أظهرت تيارات أو حركات اجتماعية تقاربات إحصائية فإنّها في الحقيقة ليست إلّا محصّلة رياضية لحالات معقّدة يقوم الفاعلون الاجتماعيون داخلها بحساباتهم الفردية تواليا. بعبارة أخرى، الظاهرة الاجتماعية يجب أن تحلّل كحالة تركيب و تجميع.

بهذا يمكننا أن نفسّر النتائج غير السويّة التي نرى فيها ظهور الطوابير أمام هذا المحل او ذاك، او أمام هذا الشباك أو ذاك، أو عن وقوف سير السيارات في الطريق. النتيجة السيّئة لهذه الأعمال تظهر هنا كنتيجة بسيطة لتفكير الجميع بنفس الطريقة في نفس الوقت، و قاموا بنفس العمل في نفس الوقت. بذلك فإنّ التغيّرات الاجتماعية لا علاقة لها بالصراع الطبقي، بل هي نتيجة حالة تركيبية ناجمة من تداخل الأفعال النفعية لكل فرد، و هي التي تنجم عنها سلسلة من ردود الفعل.

الفردانية المنهجية تذكّرنا نفعيًّا بمخاطر استعمال سوسيولوجيا تحديدية تحيل الخصائص الفردية مثل النية، الحاجة، الضمير، الإرادة إلى وحدات جماعية و مجرّدة ، كما تنتقد الخاصية التخمينية عندما تركب السوسيولوجية التحديدية نظريات عامة فوق بعضها.

النقد الموجّه لهذه النظرية هو نقد موجّه للباراديغم الفعلوي حيث ركّز على الخاصية التجزيئية للنظوية مع التأكيد على أنّها تميل أكثر إلى الوصف من التفسير. هذا بالإضافة إلى أنّه إذا كان فيبر قد ركّز كثيرا على الاقتراب الفرداني للظواهر الاجتماعية إلّا أنّ جوليان فروند Julien FREUND (أحد أبرز المختصين في السوسيولوجية الفيبرية) يذكّرنا بأنّ " التمييز بين نشاط يترجم بالسلوك المتوازي أو المتتابع لعدد من الأشخاص و النشاط الموجّه دلالة من مجموعة أشخاص أساسي في هذا الصدد".

ب-2- الاختيار العقلاني:

تعزى نجاحات نظرية الاختيار العقلاني إلى طرحها تفسيرا "فردانيا" لظاهرات يبدو من الوهلة الأولى أنّها تفلت من هذا الإطار. و لقد جاءت لتلبي انتظار علماء الاجتماع الذين كانوا قد أدركوا بوضوح متنام في السنوات الأخيرة قصور المفهوم الذي يرى الكائن البشري خاضعا جوهريّا لقوى مجهولة نابعة من مصدر اجتماعي، أو اقتصادي، أو ثقافي، أو بيولوجي، و بكلام أوضح، خاضعا للبنى الاجتماعية و المعايير السائدة في بيئته.

و من الأسماء التي اشتهرت بطرحها للاختيار العقلاني كنظرية عامة لتفسير السلوك الإنساني: أنطوني دونس Anthony DOWNS، مانكور أولسون Mancur OLSON، جيمس بوكانن James BUCHANAN، غوردون تولوك Gordon TULLOCK، أنطوني أوبرشال Anthony

OBERSCHALL، و اشتهر منهم خاصة غاري بيكر Gary BECKER 1996، و جيمس كولمان James COLEMAN، إضافة إلى الأعمال الرائدة لكل من جيمس ويلسون James WILSON 1975 صاحب نظرية النافذة المكسورة، و راسل هاردين Russel HARDIN 1995.

يمكن اختصار مبادئ نظرية الاختيار العقلاني في ثلاث نقاط:

- إنّ تفسير ظاهرة اجتماعية معيّنة يكون بإظهار أنّها نتيجة منطقية لمجموعة قضايا كل منها مقبولة في حدّ ذاتها.
- تفسّر الظواهر الإجتماعية كلها و من دون استثناء على أنّها نتيجة مجموعة من الأعمال الفردية.
- ينبغي تحليل الأعمال الفردية انطلاقا من كونها أعمالا "عقلانية".

أمّا قوام النظرية فهي مسلّماتها الست six postulats و هي :

1) كل ظاهرة اجتماعية هي نتيجة قرارات و أعمال و مواقف و معتقدات فردية. هذا هو المبدأ الكلاسيكي المعروف بمبدأ الفردانية المنهجية individualisme methodologique.
2) كل عمل هو قابل للفهم مبدئيّا. إنّه مبدأ الفهم الذي يوجب اعتبار كل عمل و كأنّه نتيجة دوافع و مبرّرات يمكن تحديدها. هكذا نفهم، كما يشير دوركهايم أن يتناسى الأفراد مؤقتا همومهم الشخصية عند اشتداد التوتّر القومي أو الدولي، مما يفسّر تدنّي نسبة الانتحار إبّان الأزمات.
3) إنّ الأعمال الفردية التي تستأثر باهتمام العلوم الاجتماعية هي تلك التي تسبّبت بها في الأساس مبرّرات قائمة في أذهان الفاعلين الاجتماعيين. إنّها مسلّمة العقلانية.
4) هذه المبرّرات ناجمة عن وضع الشخص نتائج أعماله كما يتصوّرها هو في سلّم الأوليات. تلك هي مسلّمة الاستتباعية conséquentialisme أو الأداتية instrumentalisme.
5) إنّ الأشخاص معنيين جوهريا بما تعود به أعمالهم عليهم و على أقربائهم من نتائج أعمالهم، و هي مسلّمة الأنانية egoïsme .
6) إنّه في مستطاع الفاعلين الاجتماعيين تقدير النفقات و المداخيل على خطوط العمل الممكنة كلها و نزوعهم إلى اختيار خط العمل الموازي لميزان التكاليف_الأرباح الأكثر إيجابية. يمكن تسمية هذه المسلّمة مسلّمة التأويج maximisation أو التوسع الأقصى optimisation.

المحاضرة الرابعة: نيكلاس لوهمان Niklas LUHMANN و نظرية الأنساق

نشأته

وُلِد نيكلاس لوهمان في لونبورغ ، في منطقة بروسيا في ألمانيا ، حيث كانت عائلة والده تدير مخمرة منذ عدة أجيال. درس في Gymnasium Johanneum المدرسة الشهيرة التي أسست عام 1403م في لونبورغ عام 1937. في عام 1943 تم تجنيده كمساعد في القوة الجوية في الحرب العالمية الثانية وخدم لمدة عامين، و في سن 17 تم أسره من قبل القوات الأمريكية في عام 1945. بعد الحرب ، درس لوهمان القانون في جامعة فرايبورغ من عام 1946 إلى عام 1949 أين حصل على إجازة في القانون ، ثم بدأ حياته المهنية في الإدارة العامة في لونيبورغ. أثناء إجازته في عام 1961 ، ذهب إلى جامعة هارفارد ، حيث التقى مع تالكوت بارسونز و درس عنده ، و هو الذي كان آنذاك أكثر منظري الأنظمة الاجتماعية تأثيرًا في العالم. و قد رفض لوهمان لاحقا نظرية بارسونزللأنساق ، وطور اقترابه و تصوره المنافس.

في عام 1962 ترك لوهمان الوظيفة العمومية ، و اشتغل بالتدريس في الجامعة الألمانية للعلوم الإدارية في شباير Speyer . في عام 1965 ، عُرض عليه منصب في Sozialforschungsstelle"مركز البحوث الاجتماعية" في جامعة مونستر Münster المدينة القريبة من مدينة دورتموند حاليا بإشراف هيلموت شيلسكيHelmut Schelsky حيث درس علم الاجتماع لمدة سداسي واحد.

بأثر رجعي تم قبول كتابين سابقين لنيكلاس لوهمان كأطروحة دكتوراه و حصل على التأهيل في جامعة مونستر في عام 1966 ، مما أهله للحصول على منصب أستاذ جامعي. في 1969/1968 عمل لفترة وجيزة محاضرًا في القسم السابق لثيودور أدورنو theodor adorno في جامعة فرانكفورت ، ثم تم تعيينه أستاذًا لعلم الاجتماع في جامعة بيليفيلد الجديدة بألمانيا (حتى 1993).

واصل لوهمان النشر بعد تقاعده ، عندما وجد أخيرًا وقتًا لإكمال مؤلّفه الرائع Die Gesellschaft der Gesellschaft "مجتمع المجتمع"، الذي نُشر في عام 1997 وترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان نظرية المجتمع (المجلد الأول في عام 2012 والمجلد الثاني في عام 2013). يصف هذا العمل المجتمعات المجزأة أين يكون القطر خطا فاصلا.

كتب لوهمان بغزارة ، حيث كتب أكثر من 70 كتابًا وما يقرب من 400 مقال علمي نُشرت حول مجموعة متنوعة من الموضوعات ، بما في ذلك القانون والاقتصاد والسياسة والفن والدين والبيئة والإعلام والحب. و على الرغم من أن نظرياته لم تؤثّر بعد على علم الاجتماع الأمريكي ، إلا أن نظريته معروفة حاليًا وشائعة في علم الاجتماع الألماني . وقد تم استقبالها أيضًا بشكل مكثف في اليابان وأوروبا الشرقية، بما في ذلك في روسيا. و يرجع انخفاض ظهوره نسبيًا في مكان آخر إلى حقيقة أن ترجمة عمله مهمة صعبة ، نظرًا لأن كتاباته تمثل تحديًا حتى لقراء اللغة الألمانية ، بما في ذلك العديد من علماء الاجتماع.

يتعامل الكثير من أعمال لومان بشكل مباشر مع عمليات النظام القانوني ، وتعتبر نظرية تكوين الذات في القانون واحدة من أكثر المساهمات تأثيرًا في علم اجتماع القانون والدراسات الاجتماعية والقانونية. ربما

يكون لوهمان معروفًا لدى الأمريكيين الشماليين بسبب مناظرته مع المُنظِّر النقدي يورغن هابرماس حول إمكانات نظرية الأنساق الاجتماعية.

مثل معلمه السابق تالكوت بارسونز ، كان لوهمان من دعاة "النظرية الكبرى" ، على الرغم من أنه ليس بمعنى التأسيسية الفلسفية ولا بمعنى "السرد الفوقي" كما يتم الاستشهاد به غالبًا في الأعمال النقدية لكتاب ما بعد الحداثة. على العكس من ذلك ، يقترب عمل لوهمان من نظرية إدغار موران للتعقيد بالمعنى الواسع ، من حيث أنها تهدف إلى التعامل مع أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ضمن إطار نظري عالمي - كما يتضح من تنوع الموضوعات التي كتب عنها. و يتم رفض نظرية لوهمان أحيانًا باعتبارها مجردة ومعقدة للغاية ، خاصة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية ، بينما كان لعمله تأثير دائم على العلماء في البلدان الناطقة بالألمانية ، والدول الاسكندنافية ، وإيطاليا.

وصف لومان نفسه نظريته بأنها "متاهة" أو "غير خطية" وادعى أنه تعمد إبقاء نثره غامضًا لمنعه من الفهم "بسرعة كبيرة" ، الأمر الذي لن يؤدي إلا إلى سوء فهم مبسط.

نظرية الأنساق

تركز نظرية الأنساق للوهمان على ثلاثة موضوعات مترابطة في جميع أنحاء عمله.

- **نظرية الأنساق كنظرية مجتمعية**
- **نظرية الاتصال**
- **نظرية التطور**

يدور العنصر المركزي في نظرية لوهمان حول مشكلة احتمال المعنى، وبالتالي تصبح هذه النظرية نظرية حول الاتصال. الأنساق الاجتماعية هي أنساق اتصال والمجتمع هو النسق الاجتماعي الأكثر شمولاً. و بكونه النسق الاجتماعي الذي يشمل كل الاتصال (الاتصال و فقط) ، فإن مجتمع اليوم هو مجتمع عالمي.

يُعرَّف النسق بالحدود المكوّنة بينه وبين بيئته ، و التي تفصله عن "خارج" شديد التعقيد ، أو "خارج فوضوي" . وبالتالي ، فإن الجزء الداخلي من النسق هو منطقة منخفضة التعقيد: يعمل الاتصال داخل النسق عن طريق اختيار كمية محدودة فقط من جميع المعلومات المتاحة في الخارج. وتسمى هذه العملية أيضًا "تقليل التعقيد". المعيار الذي يتم من خلاله اختيار المعلومات ومعالجتها هو المعنى (باللغة الألمانية Sinn) . وبالتالي ، يكون المعنى بمثابة إشارة إلى مجموعة من فضاء محتمل لمجموعة أخرى من فضاء محتمل. تعمل الأنساق الاجتماعية والأنساق النفسية من خلال معالجة المعنى.

علاوة على ذلك ، لكل نسق هوية مميزة يتم إعادة إنتاجها باستمرار في اتصالاتها وتعتمد على ما يعتبر مهمًا وما هو غير ذلك. إذا فشل النسق في الحفاظ على هذه الهوية ، فإنه يتوقف عن الوجود كنسق ويذوب في البيئة التي نشأ منها. أطلق لوهمان على عملية التكاثر هذه من العناصر التي تمت تصفيتها سابقًا لبيئة التكوين الذاتي للبيئة شديدة التعقيد (تُنطق "auto-poy-E-sis"؛ حرفياً: خلق الذات) ، باستخدام مصطلح

صاغه في علم الأحياء المعرفي المفكرين التشيليين هامبرتو ماتورانا Humberto Maturana وفرانشيسكو فاريلا Francisco Varela. الأنساق الاجتماعية مغلقة من الناحية التشغيلية بمعنى أنها تستخدم موارد بيئتها وتعتمد عليها ، وهذه الموارد ليست جزءًا من عمل الأنساق. يعتبر التفكير والهضم شرطين أساسيين مهمين للتواصل ، لكن لا يظهر أي منهما في التواصل على هذا النحو.

ومع ذلك ، جادل ماتورانا بصوت عالٍ أن هذا التخصيص لنظرية التكوين الذاتي كان معيبًا من الناحية المفاهيمية ، لأنه يفترض مسبقًا استقلالية اتصالات الأشخاص الحقيقيين. بعبارة أخرى ، من خلال وصف الأنساق الاجتماعية على أنها شبكات اتصال مغلقة من الناحية التشغيلية ، يتجاهل لوهمان (وفقًا لماتورانا) حقيقة أن الاتصالات تفترض وجود جهات اتصال بشرية. ينطبق Autopoiesis فقط على شبكات المعالجة ذاتية التكرار ، ولكن يتم تكرار الاتصالات من قبل البشر. لهذا السبب ، فإن تشبيه علم الأحياء بعلم الاجتماع لا ينطبق ، في هذه الحالة. في المقابل ، أشار لوهمان صراحةً إلى أنه لا يشير إلى "مجتمع خالٍ من البشر" ، بل يشير إلى حقيقة أن الاتصال هو ذاتي التكوين. أصبح التواصل ممكنًا من خلال الوعي والأجسام البشرية ، ولكن هذا لا يجعل التواصل مفتوحًا عمليًا. من أجل "المشاركة" في الاتصال ، يجب أن يكون المرء قادرًا على ترجمة أفكاره وتصوراته إلى عناصر اتصال. يمكن أن يحدث هذا فقط كعملية تواصلية (لا يمكن نقل الأفكار والتصورات بشكل مباشر) وبالتالي يجب أن تفي بالشروط الداخلية للنسق الخاص بالاتصال: الوضوح ، والوصول إلى المتلقي والقبول.

يقارن Luhmann تشغيل autopoïèse (تصفية المعلومات من البيئة ومعالجتها) بالبرنامج ، مما يجعل سلسلة من الفروق المنطقية (باللغة الألمانية Unterscheidungen) هنا . يشير لوهمان إلى منطق التمييز الذي وضعه عالم الرياضيات البريطاني ج. سبنسر-براون الذي حدده ماتورانا وفاريلا سابقًا كنموذج لعمل أي عملية معرفية. المعيار الأعلى الذي يوجه "الخلق الذاتي" لنظام معين هو رمز تعريف ثنائي. لا ينبغي الخلط بين هذا الرمز الثنائي وعمل الكمبيوتر: يفترض لوهمان (بعد سبنسر براون وجريجوري باتسون) أن الأنساق المرجعية الذاتية تواجه باستمرار معضلة التفكك / الاستمرارية. هذه المعضلة محاطة بمجموعة دائمة التغير من الخيارات المتاحة ؛ كل من هذه الخيارات المحتملة قد يكون أو لا يكون اختيارًا للنسق (حالة ثنائية محددة / مرفوضة). من الصعب المبالغة في الحديث عن تأثير كتاب سبنسر براون ، قوانين الشكل ، على لوهمان.

على الرغم من أن لوهمان طور فهمه لأول مرة لنظرية الأنساق الاجتماعية تحت تأثير بارسونز ، إلا أنه سرعان ما ابتعد عن المفهوم البارسوني. الاختلاف الأكثر أهمية هو أن بارسونز تصور الأنساق كأشكال من العمل ، وفقًا لنموذج AGIL . تعامل نظرية أنساق بارسونز الأنظمة على أنها مفتوحة من الناحية التشغيلية وتفاعلية من خلال مخطط الإدخال والإخراج. متأثرًا بالسبرنطيقا ذات الدرجة الثانية تعامل لوهمان مع الأنساق على أنها ذاتية التكوين ومغلقة عمليًا. يجب أن تبني الأنساق نفسها باستمرار ومنظورها للواقع من خلال التعامل مع التمييز بين النظام والبيئة ، وإعادة الإنتاج الذاتي كمنتج لعناصرها الخاصة.

تم تعريف الأنساق الاجتماعية من قبل لوهمان ليس كإجراء ولكن كتواصل متكرر. يُعرَّف المجتمع الحديث على أنه نظام عالمي يتكون من مجموع جميع الاتصالات التي تحدث في نفس الوقت ، وأنظمة

الوظائف الفردية (مثل الاقتصاد والسياسة والعلوم والحب والفن والإعلام وما إلى ذلك) موصوفة كأنساق فرعية اجتماعية "فرطت في تمييز" نفسها عن النسق الاجتماعي وحققت إغلاقها التشغيلي والتكوين الذاتي.

الفرق الآخر هو أن بارسونز سأل عن كيفية مساهمة أنساق فرعية معينة في عمل المجتمع ككل. بدأ لوهمان بتمييز الأنساق نفسها عن بيئة لا يمكن وصفها. و إذا لاحظ لوهمان كيف تؤدي أنساق معينة وظائف تساهم في "المجتمع" ككل ، إلّا أنّه تخلى عن فرضية الإجماع الثقافي أو المعياري المسبق أو "الغاية التكاملية" التي كانت شائعة في تصور الوظيفة الاجتماعية من قبل دوركهايم و بارسونز. بالنسبة إلى لوهمان ، فإن التمايز الوظيفي هو نتيجة للضغط الانتقائي في ظل التعقيد الزمني ، ويحدث عندما تنشئ الأنساق الوظيفية بشكل مستقل منافذ بيئية خاصة بها عن طريق أداء وظيفة. وبالتالي ، فإن الوظائف ليست مكونات منسقة من الكل الاجتماعي العضوي ، بل هي استجابات عرضية وانتقائية لمشاكل المرجعية التي لا تخضع لأي مبدأ أعلى رتبة ويمكن حلها بطريقة أخرى.

أخيرًا ، يعد الإغلاق التلقائي للأنساق اختلافًا أساسيًا آخر مع مفهوم بارسونز. يعمل كل نسق بشكل صارم وفقًا للرمز الخاص به ولا يمكنه مراقبة الأنساق الأخرى إلا من خلال تطبيق الرمز الخاص به على عملياته. على سبيل المثال ، يتضمن قانون الاقتصاد تطبيق التمييز بين الدفع وعدم السداد. تظهر العمليات الأخرى للنسق في المجال الاقتصادي للمراجع فقط بقدر ما يمكن تطبيق هذا الرمز الاقتصادي عليها. لذلك ، يصبح القرار السياسي عملية اقتصادية عندما يتم ملاحظته كحكومة سواء أنفقت الأموال أم لا. وبالمثل ، يمكن أن يكون قرار المحكمة أيضًا معاملة اقتصادية عندما تلزم تسوية نزاع تعاقدي أحد الأطراف بدفع ثمن السلع أو الخدمات التي حصل عليها. تعمل قوانين الاقتصاد والسياسة والقانون بشكل مستقل ، لكن "تغلغلها" يتضح عندما يلاحظ المرء "أحداثًا" تتضمن في نفس الوقت مشاركة أكثر من نسق واحد.

المجتمع يتشكّل بالسلوك التواصلي

بديهة خاصة على ما يبدو ، ولكنها ضمن الإطار العام المنطقي الصارم لنظرية لوهمان هي وضع الإنسان خارج الحدود الصارمة لأي نسق اجتماعي ، كما طوره بارسونز في البداية. يتألف أي نسق اجتماعي من "أفعال تواصلية" (بالإشارة إلى يورغن هابرماس) ، ولكن لا يتم تشكيلها فقط من قبلهم ، ويتطلب أي نسق اجتماعي وعيًا بشريًا (أنساق شخصية أو نفسية) كمورد ضروري ، و لكن مورد من المحيط. وفقًا لشروط لوهمان ، البشر ليسوا جزءًا من المجتمع أو أي نسق محدد ، تمامًا كما أنهم ليسوا جزءًا من المحادثة رغم أنهم يجعلون المحادثة ممكنة. و ذكر لوهمان نفسه ذات مرة بإيجاز إنه "غير مهتم بالناس". هذا لا يعني أن الناس لم يكونوا شأنًا بالنسبة إلى لوهمان ، بل بالأحرى إشارة إلى نطاق النظرية القائلة بأن السلوك التواصلي للناس يتشكل (ولكن لا يتحدّد) من خلال ديناميكيات النسق الاجتماعي ، وأن المجتمع يتشكل (ولكن لا يتحدّد) بالسلوك التواصلي للناس: المجتمع هو بيئة الناس، والناس هم بيئة المجتمع.

وبالتالي ، يمكن لعلم الاجتماع أن يشرح كيف يمكن للناس تغيير المجتمع ؛ تأثير البيئة (الناس) على نسق اجتماعي معين (مجتمع) ، ما يسمى ب "الاقتران الهيكلي" ل"الأنساق المتداخلة جزئيًا". في الحقيقة، رد

لوهمان بنفسه على الانتقادات الناجعة بالقول إنه "في الحقيقة ، قد تحمل نظرية أنساق التكوين الذاتي عنوان أخذ الأفراد على محمل الجد ، وبالتأكيد جديّة أكثر من تقاليدنا الإنسانية" .

كان لوهمان مناصرا لفكرة مثالية علم غير معياري الذي أدخله ماكس فيبر في علم الاجتماع في أوائل القرن العشرين، ثم أعاد كارل بوبر تعريفه ودافع عنه ضد منتقديه. ومع ذلك ، في بيئة أكاديمية لم تفصل مطلقًا بشكل صارم بين النظريات الوصفية والمعيارية للمجتمع ، وجه علم اجتماع لومان انتقادات واسعة النطاق من مختلف المثقفين ، بما في ذلك يورجن هابرماس.

الانتقادات و الاستخدامات التي طالت نظرية لوهمان

لم تخلو نظرية الأنساق للوهمان من النقد، فتعريفاته لـ "التكوين الذاتي" و "النظام الاجتماعي" مختلفةعن التعريفات الأخرى. في الوقت نفسه ، تم تبني نظريته أو استخدامها في جميع أنحاء العالم من قبل علماء الاجتماع وغيرهم من العلماء. و غالبًا ما يستخدم في التحليلات التي تتناول المسؤولية الاجتماعية للشركات والشرعية التنظيمية، وهياكل الحكم وكذلك في علم اجتماع القانون وبالطبع علم الاجتماع العام. تم استخدام نظرية الأنساق أيضًا لدراسة الخطاب الإعلامي حول تقنيات الطاقة المختلفة في جميع أنحاء الولايات المتحدة ، بما في ذلك الشبكات الذكية ، واحتجاز الكربون وتخزينه ، وطاقة الرياح. لإثبات الإغلاق التشغيلي للأنظمة الاجتماعية ، أو في الواقع أن الأنظمة الاجتماعية ذاتية التكوين موجودة بالفعل. بدلاً من ذلك ، أخذ هذا على أنه مقدمة أو افتراض مسبق ، مما أدى إلى الضرورة المنطقية لاستبعاد البشر من الأنساق الاجتماعية ، مما يمنع رؤية الأنساق الاجتماعية من المحاسبة عن السلوك أو الفعل أو الدوافع أو حتى وجود أي فرد.

المحاضرة الخامسة: ألان توران و نقد الحداثة

لم يكن انتماء آلان توران Alain Touraine للسوسيولوجيا نتاجا للصدفة كما يخيل للبعض؛ فانتمائه كان من أجل المشاركة في تغيير العالم، وشرطا لقيام السوسيولوجيا كعلم ملتزم وراديكالي، نظرا لأنه كان يهدف إلى تغيير جوهري في موضوع السوسيولوجيا بشكل عام. فقد كانت أبحاثه النظرية والميدانية تسعى إلى إعادة الاعتبار لموضوع السوسيولوجيا من خلال دراسة الفاعل ككائن تاريخي مرتبط بشروط ووضعيات اجتماعية، حيث لا يتخذ الفعل معناه الحقيقي إلا في علاقته مع البنية. و قد سعت السوسيولوجيا مع توران إلى الانتصار للفعل بدلا من الانتصار لما يسمى بالنسق.

ألان توران هو عالم اجتماع فرنسي (من مواليد عام 1925م)، حصل على شهادة التبريز من المدرسة العليا للأساتذة عام 1950، والتحق بالمركز الوطني للدراسات الاجتماعية، ليعمل فيه باحثا حتى عام 1958، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع تحت إشراف جورج فريدمان Georges Friedmanعام 1955، وقد قام بتأسيس مجلة Sociologie du travail عام 1959 بمعية مجموعة من علماء الاجتماع الفرنسيين مثل ميشيل كروزيي Michel Crozier كما أنجز العديد من الدراسات والأبحاث حول الحركات الاجتماعية والوعي العمالي.

يعرف آلان توران بأبحاثه في مجال سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية، وحول نظرية الفعل، ومن أهم أعماله، عمله الرئيس بعنوان سوسيولوجيا الفعل .Sociologie de l’action (1965) إلى جانب ذلك، فإن له أكثر من ثلاثين مؤلفا مثل: تطور عمل العمال في معامل رينو L'évolution du travail aux usines Renault (1955)، إنتاج المجتمع Production de la société(1973) ، من أجل علم الاجتماع Pour la sociologie (1974) ، عودة الذات Le Retour de l’acteur(1984) ، نقد الحداثة Critique de la modernité (1992) ، ما هي الديمقراطية؟ Qu’est-ce que la démocratie ? (1994)، أن نفكر باختلاف Penser autrement (2007) ، نهاية المجتمعات La fin des sociétés (2011)، إلخ.

سعت السوسيولوجيا مع توران إلى الانتصار للفعل بدلا من الانتصار لما يسمى بالنسق الذي يرتبط بمفاهيم مثل الوظيفة، الدور، الثبات، التكيف أو الاندماج الاجتماعي. فقد كانت السوسيولوجيا في أواسط القرن العشرين ترتبط بنظرية تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) التي لم تتجاوز إطار المؤسسات، والتي تقوم بتغييب دور الفاعل الاجتماعي، وتتمثل المجتمع ككائن حي يخضع للتطور العضوي، باعتبار أن الإنسان جزء من العالم الحي، والمجتمع والثقافة جزء من تقدم الحياة. وعلى الرغم من أن السوسيولوجيا النقدية حاولت الكشف عن الوهم الذي أثارته السوسيولوجيا الكلاسيكية حول المعايير والأدوار والوظائف، واعتبار أن هناك ما يسمى بعلاقات الهيمنة والسيطرة، فإن هذه السوسيولوجيا نفسها سرعان ما سوف تتحول أسلحتها النقدية إلى ضدها، نظرا للمغالاة في دور الفاعل وفصله عن انتمائه داخل النسق الاجتماعي.

وقد اعتبر توران أن السوسيولوجيا الكلاسيكية تصور المجتمع على أنه مجرد نسق منظم يستمد وجوده من تقدمه وتطوره المتواصل عبر عملية التنشئة الاجتماعية والتكيف الاجتماعي والضبط الاجتماعي. كما اعتبر أن مشكلة السوسيولوجيا النقدية التي تتمثل في التفاعلية الرمزية والفردانية المنهجية تكمن في تمجيد الفاعل، وتقوم بتضخيم إمكانياته الإستراتيجية، وإغفال القضايا الكبرى المرتبطة بالقوة وبالبناء، على الرغم من تأكيدهما على التفاعل بين الذات والمجتمع. فبعدما ظهرت لنا سوسيولوجيا النسق بدون فاعل

(الوظيفية، الماركسية، البنيوية) ظهر لنا خطر الانسياق نحو سوسيولوجيا الفاعل بدون نسق (التفاعلية الرمزية، الفردانية المنهجية)، ولهذا كان هدف توران هو بناء سوسيولوجيا تطابق بين الفاعل والنسق.

ضمن هذا الإطار، يقترح توران إعادة تعريف السوسيولوجيا باعتبارها دراسة للفعل الاجتماعي، فعل ذات تاريخية تتحدد توجهاتها بالنظر إلى مجموع الظروف الاجتماعية. فالحقيقة الاجتماعية في شموليتها يجب أن يتم تحليلها عبر مجموعة من أنساق الأفعال .وعلى هذا النحو، قام توران بمجهود نظري لتجاوز هذه الوضعية التي أسقطت السوسيولوجيا في ثنائية النسق والفاعل، عبر مقولة نسق الفعل، فما هو مهم، هو أن يتم استبدال تلك المسافة الفاصلة بين الفاعل والنسق بالارتباط معا، وهذا ما تسمح به فكرة نسق الفعل عند توران عبر التفكير في الدينامية الاجتماعية التي تميز المجتمعات الغربية، مركزا في تحليلاته على الصراعات والتناقضات بين الطبقات الاجتماعية في امتلاك التاريخانية، فدراسة المجتمع تكمن في حركيته وليس في سكناته.

التدخل السوسيولوجي

يمثل كتاب "من أجل السوسيولوجيا" عند توران ميلاد ما يسمى بمنهجية التدخل السوسيولوجي (l'intervention sociologique)التي تهدف إلى دراسة الحركات الاجتماعية (Mouvements sociaux)، حيث يفترض في عالم الاجتماع أن ينخرط في الحركة، وأن يقوم بدراسة الفعل من داخلها دون تبني إيديولوجية الفاعلين (القائمين بالفعل)، وهو ما يؤكده حول مهمة عالم الاجتماع بقوله: "ينخرط في الحركة، نعم؛ ولكن يجب عليه أيضا أن يتخلص من تنظيمها"، بمعنى أن يكون حرّا تجاه تنظيمها. هذا يعني أيضا التركيز على المناضلين في القاعدة وليس مع القادة أو الإيديولوجيين الواقعين تحت تأثير الترسيمات المخصصة للحفاظ على أدوارهم.

تسمح هذه الطريقة لدى توران بتفعيل المجتمع وإظهار حركاته والمساهمة في تشكيلها، فقد كانت هذه الطريقة السوسيولوجية سببا في إنشاء مركز التحليل والتدخل السوسيولوجي (EHESS) ما بين (1981 - 1982) بعد أن تخلى توران عن مركز دراسة الحركات الاجتماعية (CEMS) الذي تم تأسيسه عام 1970.

يفترض آلان توران في المجتمع أن يكون واعيا بذاته، وقادرا على تغيير نفسه، ومدعو إلى البحث عن الفاعلين الحقيقيين ، كما يمزج بين الالتزام العلمي والالتزام الأخلاقي في سوسيولوجيته من خلال منهجية التدخل السوسيولوجي التي تجمع بين الملاحظة بالمشاركة والمنهج التاريخي بهدف إحداث تلك المسافة الضرورية بين الباحث وموضوعه، حيث يمكن اعتبار هذه الطريقة تصورا جديدا لحرفة عالم الاجتماع من أجل تجاوز أدوار الاستكشاف فقط والتحليل الموضوعي للعالم الاجتماعي عبر الانخراط في تغييره، مستلهما بذلك كل المعارف العلمية في مساعدة الحركات الاجتماعية على صياغة وعيها برهاناتها وخصومها ومشروعها التاريخي الذي تحمله للمجتمع شريطة ألا يسعى عالم الاجتماع إلى فرض نفسه على الجماعة.

مفاهيم الان توران

ويرتبط التحليل السوسيولوجي لدى توران بمجموعة من المفاهيم الرئيسية، مثل التاريخانية (L'historicité)، الحركات الاجتماعية، الذات .(Sujet) وهذه المفاهيم نجدها مترابطة فيما بينها بسبب رفض توران لكل التحليلات الاجتماعية التي تسعى إلى تفسير المجتمع بأنه يخضع لمبدأ غير اجتماعي، محدد من طرف قوة غير مرتبطة بإرادة الفاعل الاجتماعي مثل الوصاية الإلهية، الصدفة، الطبيعة...إلخ. إن المجتمع في نظر توران هو نتاج لأفعاله وممارساته وللعلاقات المميزة، يفترض في المجتمع أن يكون واعيا بذاته، وقادرا على تغيير نفسه، ومدعو إلى البحث عن الفاعلين الحقيقيين. فالفاعل دائم الفعل

والحركة، قادر على استثمار نفسه وتفعيل ذاته. ولذلك يقدم لنا مفهوم التاريخانية كمفهوم مركزي، الذي يدل على المعنى الذي يتخذه الفعل عند الفاعل، حيث يقول توران:

"أسمي ما أدعوه تاريخانية ذلك البعد الذي يتخذه المجتمع اتجاه نشاطه، والفعل الذي يحدد من خلاله مقولات ممارسته، فليس المجتمع ما هو كائن، ولكن ما يفعله لكي يكون عن طريق المعرفة التي تخلق وضعا للعلاقات بين المجتمع ومحيطه، من خلال التراكم الذي يقتطع جزءا من الناتج المتوفر من الدائرة المؤدية إلى الاستهلاك، عن طريق النموذج الثقافي الذي يتحكم في الإبداعية بأشكال تخضع للنفوذ المجتمع العملية على سيره الذاتي، فهو الذي يخلق مجموع توجهاته الاجتماعية والثقافية بفعل تاريخي يكون فعلا ومعنى."

ميزات التاريخانية

يقترح توران هنا ثلاث ميزات أساسية تسهم في تكوين ما يسميه بالتاريخانية وتوجيه عمل المجتمع في ممارسته، وهي كالتالي:

ـ نمط المعرفة، وبخاصة الصورة عن العالم وعن العلاقات الاجتماعية وعن اللااجتماعي Non-social واللغة، كلها تساهم في توجيه التصرفات الاجتماعية كما تساهم في تعريف الوضعية.situation

ـ التراكم l'accumulation الذي بواسطته يوظف قسم من الإنتاج القابل للاستهلاك في عملية الإنتاج، ويساهم ليس فقط في العمل، بل في إنتاج العمل.

ـ النموذج الثقافي الذي عبره يدرك المجتمع نفسه ويستوعب إبداعيته.créativité

فالتاريخانية في نظر توران هي قدرة المجتمع على إعادة إنتاج نفسه؛ أي إنتاج توجهاته الاجتماعية والثقافية من خلال ممارساته وأنشطته، الشيء الذي يجعله كائن موجود وليس ما يفترض أن يكون عليه من قبل القوى غير الاجتماعية. كما أنه يقوم على النموذج الثقافي الذي يعطي للتاريخانية معنى للممارسات الاجتماعية من خلال توجيه الفعل التاريخي. فالتاريخانية أشبه بنظام معقد يقوم على الفعل التاريخي وعلى أنظمة المعرفة، وأشكال التراكم وعلى النمط الثقافي، حيث يتم تسييرها وتوجيهها من قبل قوى تنافسية متصارعة داخل المجتمع.

وعلى الرغم من أن مفهوم التاريخانية يعدّ مفهوما ديناميا، إلا أننا نجد توران يرفض كل تصور اختزالي الذي ينظر إلى المجتمع نظرة تطورية، فالمجتمع لا يخضع إلى وضع مسبق، وإنما هو خاضع لتوجيهات الفاعلين الذين يرسمون خطوطه الدقيقة والعريضة. فلا "يمكن أن نفهم الفاعل الاجتماعي من خلال المجتمع الذي ينتمي إليه، بل يجب الانطلاق من الفاعلين الاجتماعيين ومن الصراعات القائمة التي تجعل بعضهم في مواجهة البعض، والتي ينتج المجتمع نفسه عبرها، وذلك حتى نفهم كيف تنشأ مقولات الممارسة." وبالتالي، يجب أن ننظر إلى الفاعلين على أساس قدرتهم على التأثير داخل النسق، وهو ما جعل توران يقارن بين المجتمعات التي تتميز بتاريخانية عالية، ومجتمعات تتميز بتاريخانية ضعيفة. ففي المجتمعات ضعيفة التاريخانية، يدرك النموذج الثقافي بصفة مجردة على أنه نظام كلي "ميتا ـ اجتماعي" (Méta-Social)، وهي لا تؤمن بالتغيير والإبداع ونجدها تميل إلى إعادة إنتاج النسق، حتى لا يتم تهديد مصالحها ووجودها. وفي المجتمعات عالية التاريخانية يكون "تأثير إنتاج العمل على إنتاج الخيارات كبيرا، يكون إدراك الإبداعية عمليا، فيعرف العلم على أنه إبداعية، وقوة مباشرة لتحويل حالة الطبيعة."

يرى توران أن جوهر دينامية المجتمع يكمن أساسا في الحركات الاجتماعية باعتبارها ذوات فاعلية، حيث يعتبر بأن موضوع السوسيولوجيا هو "دراسة التصرفات الاجتماعية، وفي الدرجة الأولى، دراسة التصرفات التي ترتبط مباشرة بالتاريخانية؛ أي بعلاقات وصراعات الطبقات، تصرفات ندعوها الحركات الاجتماعية"، وهو الأمر الذي جعله يراهن كثيرا على سوسيولوجيا الفعل التي تهتم بدراسة الأفعال والعلاقات والصراعات والتنافسات والأنساق الاجتماعية.

مبادئ الوجود

يعرف توران الحركات الاجتماعية بأنها "فعل تنازعي بين وكلاء الطبقات الاجتماعية المتصارعين من أجل مراقبة نسق الفعل التاريخي ."إنها تعمل بذلك، دائما على أن تمتلك التاريخ لنفسها من خلال الدفاع عن هويتها واستقلالها ضد خصومها كلما دعت الضرورة إلى ذلك. فأهم ما يميز الحركة الاجتماعية هو المرور من الهوية الدفاعية إلى الهوية الهجومية، فعن طريقها يستطيع المجتمع أن ينتصر لوجوده عبر مجموعة من المبادئ التي وضع لها توران تسمى مبادئ الوجود، حيث تتمثل في ثلاثة مبادئ، وهي كالتالي:

- مبدأ الهوية: إذ يتعين على الحركة الاجتماعية أن تعلن عن هويتها ومن يمثلها.
- مبدأ التعارض: تحديد الخصم الذي يتعارض مع أهداف الحركة الاجتماعية وتوضيحه بشكل موضوعي.
- مبدأ الكلية: وهو أهم مبدأ عند توران، حيث يفترض من الحركة الاجتماعية أن تكون مكونة من وعي جمعي وشمولي؛ بمعنى آخر ألا تكون أقلية أو فردية، لأن هذا المبدأ يساهم بشكل كبير في التأثير على الرأي العام، وعلى تحقيق المطالب والمكتسبات وضمان الحقوق.

تلك هي أهم المبادئ التي وضعها توران لتوجيه الحركات الاجتماعية من أجل السيطرة على التاريخانية التي تشير إلى الأشكال الثقافية العامة وبنى الحياة الاجتماعية؛ فالمجتمع يشير إلى الاندماج الاجتماعي، بينما الحركات الاجتماعية تعني فعلا صراعيا يعارض أشكال الاندماج الاجتماعي التي تحدثها المؤسسات الاجتماعية والسياسية.

عودة الفاعل

هذا، وقد تميزت سوسيولوجيا توران في بداية الثمانينيات من القرن العشرين بعودة الفاعل Retour de L'acteur، هذه العودة لم تكن عفوية عرضية، وإنما تضافرت فيها حيثيات وشروط كثيرة، وساهمت في بروز الفاعل بشكل قوي، ومن ضمن هذه الحيثيات والشروط ضعف النظريات الوظيفية والبنيوية في تفسير الظواهر الاجتماعية، ثم التحولات الاقتصادية والسياسية التي عرفها العالم خلال فترة السبعينيات مثل تفكك الدولة القومية، وانحلال الدولة الاجتماعية التي كانت في نهاية المطاف تمثل سلطة قهرية على الأفراد والجماعات الصغرى، فقد كانت هذه الجماعات تنظر لنفسها في موقع التبعية.

إن عودة الفاعل ستبرز من خلال زوايا متعددة ومختلفة، تتمثل مثلا في بروز حركات النوع والحركات النسائية التي اعتبرها توران من أهم الحركات الاجتماعية في القرن العشرين، والتي أفرزتها مخلفات الحداثة.الذات الفاعلة هي عملية تحرر من أشكال الهيمنة والسيطرة، حيث تفترض في هذه الذات بناء نفسها لمواجهة الآخر.

سيركز توران على فكرة أساسية مفادها أن الجماعات الاجتماعية التي تتشكل في استقلال نسبي عن الدولة هي التي تسعى إلى التعبير عن امتلاكها للتاريخانية، حيث سيتم التركيز هنا على حركية المجتمع في علاقتها بقضايا الدولة، وسوف يبلور مفهوم الذات الفاعلة كتعبير عن هذه الحركية، فأن تكون ذاتا فاعلة هو أن تكون قادرا على الفعل والحركة، كما أنه سيهتم بدراسة الحركات الاجتماعية، فالهدف منها هي تحرير الذات من الهيمنة التي يمارسها النظام على الفرد. فالذات في نظر توران: "ليس عنصرا من عناصر التعارض (الذات الفاعلة من جهة والعقل من الجهة الأخرى)، بل كتعبير محسوس عن رفض مزدوج وعن قرار. هناك رفض للسلطة التكنوقراطية، للعقلنة بالمفهوم التايلوري، ورفض للسلطة الجالياتية، لتسلط الهوية؛ لأن كل ذات فاعلة هي في آن واحد كونية وجالياتية."

يدافع توران عن فكرة مهمة، وهي ألا يصبح الفرد قطعة شطرنج يتم التلاعب بها من طرف النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ أي ألا يكون الفرد مستعبدا أو داخل مصفوفة اجتماعية يتم برمجته وفق نمط اجتماعي وإيديولوجي يخدم فئة أقلية متحكمة، فالفرد عند توران يمكن أن يكون فاعلا، لأنه حرّ في توجهاته واختياراته وقادر على تغيير محيطه، ولا يمكن له أن يكون ذات فاعلة إلا حينما يؤمن بفرديته

على الفعل، وهذا ما يميز الذات الفاعلة عند توران، لأنها تسعى إلى تحرير نفسها من كل أشكال التحكم التي يمارسها المجتمع المبرمج.

إن هدف الحركة الاجتماعية عند توران هو تحرير الذات من أشكال الهيمنة والسيطرة عبر تغيير العالم عن طريق العقل والتقنية والتقدم، والذات عنده تتجسد في الفاعل الاجتماعي المرتبط بالعلاقات والصراعات الاجتماعية. فالذات هي الفاعل "عندما يكون على مستوى الفاعلية التاريخية لإنتاج توجهات كبرى معيارية للحياة الاجتماعية ."وهذه الذات هي نفسها حركات اجتماعية، حيث يقول: "لا توجد الذات إلا باعتبارها حركة اجتماعية، إلا كاعتراض على منطق التنظيم(ordre) ، سواء اتخذ شكلا نفعيا أو كان بحثا عن التكامل الاجتماعي."

من هنا يتضح أن الذات الفاعلة هي عملية تحرر من أشكال الهيمنة والسيطرة، حيث تفترض في هذه الذات بناء نفسها لمواجهة الآخر؛ أي أنها تتأسس لمواجهة ومقاومة مراكز السلطة في (مجتمع مبرمج) الذي يعني به آلان توران التحكم في البشر، لكي يكون لها مشروع سوسيو ـ ثقافي تتشارك فيه مع باقي الذوات الفاعلة والمتمثل بالدرجة الأولى في الحرية، وهو ما يردده بقوله:

" إن فكرة الذات الفاعلة تستدعي إلى خاطري فكرة النضال الاجتماعي، إضافة إلى فكرة الوعي الطبقي والشعور القومي في المجتمعات سالفة، ولكن بمضمون مختلف ينأى عن كل تمظهر خارجي، ويتجه، مع بقائه صراعيا، نحو الذات الكاملة. لذا كان أول ما خطر ببالي من أجل توضيح فكرة الذات الفاعلة صور المقاومين، صور المقاتلين من أجل الحرية."

يحاول توران في كتابه "نقد الحداثة "إعادة الاعتبار بشكل كبير للذات الفاعلة، وأن ينفي مسألة تحكم البنيات في الأفراد، لأن الحركات الاجتماعية تعمل كوسيط، من خلالها يصبح الفرد فاعلا، ويكتسب هامشا من الحرية، فالحركات الاجتماعية بهذا المعنى هي تلك الوساطة التي بموجبها يمكن للفرد أن يقوي حريته الفردية.

إن فكرة الذات الفاعلة عند توران تجمع بين ثلاثة عناصر أساسية لا يمكن الفصل بينها؛ الأول هو مقاومة السيطرة، والثاني هو حب الذات، وبه يطرح الفرد حريته باعتبارها الشرط الرئيس لسعادته وهدفا مركزيا لحياته، والثالث هو الاعتراف بالآخرين كذوات فاعلة، ومن ثم دعم القواعد السياسية والقانونية التي تمنح العدد الأكبر من الناس أكبر الفرص الممكنة التي تمكنهم من العيش كذوات. فالذات الفاعلة هي الحرية بالدرجة الأولى، حيث تعتبر الديمقراطية شرطا لوجودها، علما أن هذه الذات مهددة في المجتمعات التابعة والمغلوبة على أمرها بسبب غياب الديمقراطية. كما أنها مهددة في المجتمعات المحدثة، بالانحلال بسبب منطق السوق والاستهلاك. ولا يمكن لهذه الذات أن تتحدد وأن تدرك نفسها إلا بصراعها ضد منطق السوق والأجهزة التقنية... فالذات عقل وحرية وذاكرة في آن معا. وهذه الأبعاد الثلاثة تتجاوب مع أبعاد الديمقراطية.

ويرى توران أنه إذا أردنا أن نختبر ذواتنا كذوات فاعلة، فإنه يظهر من خلال التزاماتنا ومسؤوليتنا "تجاه حق كل فرد في العيش بكرامة والاعتراف له بهذه الكرامة؛ أي بما يستحيل انتزاعه من دون أن تفقد الحياة كل معناها." ففي مؤلفه الذي يحمل عنوان "نحن، الذوات الإنسانية "تتجلى فكرة الكرامة بوضوح حينما يرى أنها أصبحت هي الفكرة المركزية عند الفاعلين الاجتماعيين الذين يصارعون السلطة الكلية، والتي تسعى إلى السيطرة على ذواتهم، فهذه السلطة تتميز بكونها تمتلك القدرة على أن تتحكم وتسيطر على الموارد الطبيعية وخاصة في المجال الاقتصادي، كما أن لها القدرة في أن تسيطر على الذات الإنسانية من خلال التحكم في تأويلات الأفراد لأنفسهم ولأفعالهم عبر التسويق والإشهار والإعلام ...إلخ. هذه السلطة تبقى في الأخير من اصطناع السياسي بالدرجة الأولى، قبل أن تكون اقتصادية أو تقنية. إن فكرة الكرامة التي عبر عنها الفاعلون الاجتماعيون في شعاراتهم ليست فكرة ثقافية، وإنما هي فكرة أخلاقية، لأنها أصبحت من الحقوق الأساسية إلى جانب الحرية والعدالة، وهما كلمتان متصلتان من الصعب

الفصل بينهما، ومنهما تنبع فكرة الكرامة، ولهذا يظهر جليا أن مقاومة السلطة الكلية أو الشمولية تتم عبر بناء حركات أخلاقية، تطرح فيها الكرامة كمدخل للدفاع عن حقوق الإنسان، ولذلك يرى توران أنه يجب على كل الحركات الاجتماعية الجديدة أن تكون أخلاقية وديمقراطية في آن معا.

وعلى ما يبدو، أن المجتمع المعاصر حسب توران هو مجتمع يميل إلى الهيمنة والتسلط والسيطرة على الفاعلين، وأن الحركة الاجتماعية باعتبارها الذات الفاعلة، ما هي إلا تعبير عن رفضها لهذه الهيمنة والتسلط والسيطرة بمختلف أبعادها، فهي عبارة عن تمرد اجتماعي يتم في هامش المجتمع حينما تكون هناك أزمة بين الطبقات الاجتماعية، حيث تبنى كفاعل في النزاعات والصراعات الاجتماعية.

يؤكد توران أنه في المجتمع الطبقي الذي يقوم على التراتبية والتمايز الاجتماعي لا يمكن أن نفصل السوسيولوجي عن ما هو سياسي؛ فالسوسيولوجيا كعلم وممارسة والتزام هي "معرفة نضالية" بامتياز. إنها علم للتحرر من العلاقات الاجتماعية التي تقوم على الهيمنة، والتي يمارسها النظام؛ فالسوسيولوجي كما يقول توران: "ملتزم بالضرورة ضمن الصراع من أجل التعرف على العلاقات الاجتماعية ومن أجل التعبير عنها ضد سيطرة النظام، وخاصة عندما يكون هذا الأخير استبداديا"، حيث يفترض في عالم الاجتماع أن يساهم بشكل أو بآخر في دفع بالحركات الاجتماعية نحو التغيير بهدف امتلاك التاريخانية، نظرا لأن الفعل هو الذي يحدد الأوضاع والظروف، ومن المستحيل دراسة الحركات الاجتماعية من دون أن ينخرط فيها عالم الاجتماع، لأن الموضوعية الباردة بحسب توران تتعارض مع حرارة الحركات الاجتماعية.

في ختام القول ومن خلال المنجزات التي أنجزها ألان توران، نلاحظ أن له حضورا قويا ومتميزا في الساحة العلمية، وخاصة فيما يخص تحليله العميق للحركات الاجتماعية، فهو يعد من أشهر منظري الثورة، ويرفض الانسياق وراء المصالح الشخصية، فهو يعبر عن نموذج المثقف العضوي، ويؤكد دائما أن دور السوسيولوجي هو رهانه على الحركات الاجتماعية ومواجهة القوى التي تسعى إلى السيطرة والهيمنة. فمن وجهة نظره، فإن مهمة السوسيولوجي هي النضال من أجل التغيير ضد النظم والمؤسسات التي تمارس الضغوطات والإكراهات على الذوات الإنسانية.

المحاضرة السادسة: نظرية ما بعد الحداثة

تعددت النظريات السوسيولوجية المعاصرة واختلفت وتعد نظرية ما بعد الحداثة من هاته النظريات والتي يسعى روادها لحل مشكلات مجتمعنا المعاصر والتي تم الاهتمام بها بعد فشل النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية وهذا من خلال الانتقادات الموجهة لتلك النظريات،وهاته النظرية النقدية المعاصرة سيخصها بحثنا هذا بالدراسة حيث سنتكلم عن مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة وإلى أي حد استخدم هذا المفهوم (ما بعد الحداثة)ثم يليه تعريف النظرية وعوامل نشأتها ثم جذورها الفكرية بعد ذلك الرواد وتقييم نظرية ما بعد الحداثة. ولذلك نطرح التساؤلات التالية:
ما المقصود نظرية ما بعد الحداثة؟ وما هي ظروف نشأتها ؟ومن هم أهم روادها؟

مفهوم الحداثة:

يرى الكثير من المحللين لنظرية الحداثة،أن هذه النظرية ومفهوماتها يعتبران من المفاهيم الغامضة والمحيرة أو الصعبة التفسير نظرا لتداخلها مع الكثير من المفاهيم الاخرى،لتعدد استخداماتها في الحياة اليومية وللتعرف على هذا المفهوم كما يرى فرو،وفوستر يجب التفرقة بين ثلاثة مفاهيم وهي الحداثة والتحديث وما بعد الحداثة.

فالحداثة هي عبارة عن جملة الممارسات الثقافية التي يكون بعضها معادي للحداثة ذاتها. التحديث والتي تعتبر عملية إقتصادية في الاساس ولها تطبيقات في مجالات علم الاجتماع الثقافي حيث ارتبطت بمفهوم العقلانية عند ماكس فيبر وعبر عنها في نظريته الاجتماعية والتي تم تطويرها في إتجاه نظري عرف بإسم نظرية التحديث.

فالحداثة كمفهوم استخدم من جانب العديد من المنظرين الاجتماعيين أمثال ماركس وفيبر،ولقد حاولوا جميعا الاشارة إلى هذا المفهوم تاريخيا للفترة اللاحقة للعصور الوسطى أو العصر الاقطاعي.كما يمكن أن نشير ألى الحداثة للاشارة في إطار تحليلنا للمراحل التاريخية اللاحقة لعصر التنوير وما تميزت به أنماط التفكير الانساني وتبنيها للتفسيرات العلمية والعقلانية، واعتبار كل من العلم والعقل مصدرا للتقدم عن طريق المعرفة المنظمة.

وكما يشير مفهوم الحداثة إلى مايعرف بالحداثة الجمالية الفنية والتي ظهرت نتيجة لمقاومة المظاهر الاستاتيكية والثقافية فالحداثة مست جميع جوانب الحياة من فنون وصناعة واقتصاد واستهلاك.فالحداثة تذهب نحو الفردية والعلمانية والتحول نحو التصنيع والنظام السلعي والتحضر والتحول نحو البيروقراطية والعقلانية والتي جميعها شكلت النظام العالمي الحديث.

مفهوم مابعد الحداثة:

إن مفهوم ما بعد الحداثة يفهم من خلال تحليلات أنصار هذه النظرية،حيث يروا أن المرحلة المعاصرة التي تشهدها المجتمعات الحديثة تتصف بمرحلة ما بعد الحداثة، وخاصة إن هذه المرحلة الحالية تتميز بأعلى درجات التقدم التكنولوجي والصناعي في المجتمع الذي نعيش فيه وساعدت على إنتاج وإعادة إنتاج وتغير جميع المظاهر الحياتية التي يطلق عليها مجتمع مابعد الحداثة الجديد تلك المرحلة التي تحتاج إلى الكثير من التحليلات حول ما تم إنتاجه سواء من الناحية التاريخية أوالسوسيوثقافية والذي نتج عن إستخدام التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في الحاسبات الالكترونية ووسائل الاتصال والاعلام والاشكال الحديثة من المعرفة ،والتغيرات التي حدثت على البناءات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فجميعها شكلت ما بعد الحداثة.

إن تحليل أو مفهوم مابعد الحداثة في مجال النظرية السوسيولوجية يعد دورا أساسا في تشكيل النظرية الثقافية والجمالية حيث توجد تحليلات أخرى تميز بين الحداثة وما بعد الحداثة في مجال الفنون والاداب. ويقول دفيد هارفي David HARVEY :" من المؤكد أن الجميع يختلف فيما يقصد باللفظة مابعد الحداثة ماعدا احتمال أن يكون المقصود بها كونها تجسيدا لرد فعل ضد الحداثة أو انزياح عنها وطالما استغلق علينا معنى الحداثة والتبس، فإن رد الفعل هذا والمعروف بإسم ما بعد الحداثة يظل هو الآخر مستغلقا وبكيفية مضاعفة".

تعريف نظرية ما بعد الحداثة:

يرى الكثير من المحللين لهذه النظرية أنها نظرية معاصرة جاءت لتقييم وإنتقاد النظريات السوسيولوجية الاخرى فهي بمثابة نظرية سوسيولوجية ذات طابع نقدي،كما تحاول أن تعيد تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الانساني الذي تركته مجموعة النظريات السوسيولوجية الكبرى وروادها البارزين من أمثال ماركس وفيبر ودوركايم علاوة على تحليل النظريات المعاصرة ومحاولة إنتقادها من خلال معالجة أطرها التصورية والفكرية والقضايا الاساسية التي قامت عليها.

كما تهدف نظرية ما بعد الحداثة إلى البحث عن أسس لتفسر المعرفة الانسانية وإلى حد أصبحت هذه المعرفة ذات طابع عالمي،وقد رفضت هذه النظرية الكثير من الافتراضات والمقولات العامة التي قامت عليها النظريات السسوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، وخاصة تلك التي أيدت فكرة التماسك والتضامن والتوازن الاجتماعي وأيدت عموما النظريات التي تؤيد أفكار حديثة ومتطورة. وتقوم هذه النظرية أيضا على نقد النظريات التي تعتمد على توحيد الموضوعات ومجالاتها الخاصة والتي تعتمد على التصورات المركزية أو الشاملة ،لأنها تحرص على تجزئة الموضوعات وجعلها أفكار لا مركزية وتفسيرها في إطارها الاجتماعي واللغوي.

ويزعم أنصار التصورات ما بعد الحداثية أن المفكرين الاجتماعيين الكلاسيكيين اعتقدوا أن للتاريخ ثمة شكلا محددا ومسارا مستمرا وسيرورة هادفة وأن هذه الأفكار الكبرى قد انهارت وآلت إلى الانقراض في التاريخ المعاصر وأصبحت عديمة المعنى ولم يقتصر الأمر على أن فكرة التقدم في التاريخ قد غدت عديمة المغزى ولا يمكن الدفاع عنها، بل أن ما بعد الحداثيين يرون أنه ليس من المحتم على المجتمع البشري أن يسلك المسار الاشتراكي كما كان يرى ماركس، أو أن ينهج النهج العقلاني والبيروقراطي كما توهم فيبر.ويرى بعض المنظرين الحداثيين وما بعد الحداثيين أن ما يتحكم في عالم اليوم هو وسائل الاعلام والاتصال الحديثة . ويضيف هؤلاء أن مجتمع مابعد الحداثة يتسم بدرجة عالية من التعدد والتنوع، ومن هنا فإن العالم الذي نعيشه ونشاهده في وسائل الاعلام والاتصال الحديثة مثل التلفاز والمواقع الالكترونية ذاخر بالأفكار والقيم المطروحة للتداول، ولا صلة له بتاريخ المنطقة التي نعيش فيها وكما يقول مجموعة من هؤلاء المنظرين إننا نعيش في عالم تشكل ويعاد تشكيله بإستمرار ... ويعتبر جون بودريار Jean BAUDRILLARD من أبرز المنظرين في إتجاه ما بعد الحداثة حيث يرى أن وسائل الاتصال الالكترونية قد دمرت العلاقة التي تربطنا بماضينا وخلقت حولنا عالما من الخواء والفوضى وكان قد تأثر بالماركسية في مرحلة مبكرة من حياته الفكرية، غير أن ثورة الاتصالات وانتشارها قد قلبت في رأيه المقولة الماركسية حول تأثير القوى الاقتصادية على شكل المجتمع رأسا على عقب ويرى بودريار أن ما يؤثر في حياتنا الاجتماعية أبلغ التأثير هو الاشارات والصور ويستمد بودريار جانبا من أفكاره في هذا المجال من المدرسة البنيوية وبخاصة الافكار التي طرحها دو سوسور DE SAUSSURE بأن المعاني والدلالات تشتق من الروابط بين الكلمات لا من الواقع الخارج وفي هاته الايام التي تهيمن فيها وسائل الاعلام. .

يركز أصحاب ما بعد الحداثة على نقد المجتمع الرأسمالي والمعرفة التي أنتجها ويظهر هذا واضحا في كتابات جين فرانسو ليوتار Jean-François LYOTARD وجون بودريارفي نقد كل منهما لشرعية المعرفة والمجتمع الرأسمالي.

عوامل نشأة ما بعد الحداثة

يذكر اليكس كالنيكوس أن القول بما بعد الحداثة نشأ بناءا على توفر ثلاثة عناصر متمايزة:

الردة على الحداثة:

وتتمثل في الحركات الفنية المعاصرة وخاصة منها تلك التي اعتنت بمجال المعمار،فلقد ثارت هذه الحركات على المعمار الحداثي الداعي إلى التقشف والعقلانية والتجريد والمستلهم لمثال الآلهة .في حين سعت نزعة ما بعد الحداثة إلى بناء نموذج معماري يستعيض عن التقشف بالتنميق وعن التقليد بالاثارة.ولعل ناطحة السحابATXT التي وضع تصميمها فيليب جونسون خير مثال على عمارة مابعد الحداثة ذلك أنها تنقسم بصورة متناسبة إلى قسم أوسط كلاسيكي مستحدث،وأعمدة رومانية عند مستوى الشارع وقمة واجهة إغريقية مثلثة.

ظهور تيار اشتهر بإسم ما بعد البنيوية:

وقد كان من رواد هذا التيار ميشيل فوكو،جيل دولوز.وتتلخص أطروحة هذا التيار في رفض شعار التنوير واعتباره مجرد وهم كما تتضمن القول بأن لا يمكن تناول الواقع والفكر إلا باعتبارهما متجزئينوبأن النظريات والافكار ما هي إلا تعبير عن السلطة نحن إذن أمام نزعة فلسفية جديدة تقوم على تشخيص واقع لا يعدو أن يكون مجرد مرآة تعكس انهيار العقل الكلاسيكي بمختلف أشكله سواء تعلق الامر باللاهوت المسيحي أو النسق الهيجلي أو الايديولوجية الماركسية أو النزعة الوضعية.

ظهور نظرية المجتمع مابعد الصناعي:

والتي عمل على تطويرها علماء اجتماع كثيرون نذكر من بينهم عالم الاجتماع الامريكي دانيال بل Daniel BELL والفرنسي ألان توران Alain TOURAINE. فالبنسبة لدانيال بل العالم اليوم دخل عصرا تاريخيا جديدا أطلق عليه اسم العصر ما بعد الصناعي ويتميز هذا العالم بالاهمية التي صارت تحضى بها المعرفة(الثقافة) في الحياة المعاصرة والتي جعلت منها بدلا من الانتاج المادي(الاقتصاد)القوة الدافعة الرئيسية للتطور،فهو يقول في هذا الصدد:

"إن لمن نتائج اندحار الاخلاق الدينية وارتفاع الدخل الفردي ارتفاعا كبيرا ،أن تبوأت الثقافة في نصف القرن الأخير المكانة الأولى للإشراف على التغيير داخل المجتمع ، مما جعل الاقتصاد يركن إلى ممارسة دور تابع يتولى من خلاله مهمة إشباع الحاجات الجديدة للثقافة .

الجذور الفكرية لنظرية ما بعد الحداثة:

إن عملية تحديد مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة لايمكن فهمه إلا من خلال السياق التاريخي التي ظهرت فيه هذه المفاهيم وأدت إلى بلورة نظرية ما بعد الحداثة فلقد ظهر مفهوم الحداثة من الناحية الاجتماعية في دراسات راد ليف بانفيتز والذي تأثر بالفيلسوف "نيتشه" لوصف انهيار القيم في الثقافة الاوروبية المعاصرة .

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة ويظهر من تحليلات سمور فيل التي تناولت كتابات المؤرخ البريطاني الشهير "أرنولد توينبي"وخاصة في كتابه دراسة في التاريخ الذي نشر سنة 1947وإن كان كل من "سيمور فيل و توينبي" أرجعا تاريخ ظهور فكرة ما بعد الحداثة إلى ظهور ما يعرف بالمرحلة الرابعة في التاريخ الغربي وبالتحديد عام1875وبعد انهيار عصور الظلام

وحاولا أن يصفا مجموعة التغيرات الحديثة التي ظهرت مع نشأة الطبقات البرجوازية الوسطى، وأدت إلى الاستقرار الاجتماعي، وتبني العقلانية.

وخلال عقد الخمسينات ظهرت أفكار سوسيولوجية لفكرة ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة الامريكية وهذا ما ظهر في تحليلات "رونالد روزنبرج" في كتابه الثقافة الجماهيرية عند استخدام مفهوم ما بعد الحداثة ليصف الاحوال الجديدة للحياة في المجتمع الامريكي .كما نجد "بيتر دويكر" قد اهتم بهذا المفهوم عندما نشر مقاله عن علامات الغد وذلك سنة 1957حيث حاول فيه أن يصف تأثير التكنولوجيا وطبيعة القوة التي تحدد المخاطر المتعددة في المجتمع.

ومع آواخر الخمسينات وبداية الستينيات تطور مفهوم ما بعد الحداثة وظهرت البوادر السوسيولوجية والفكرية لنظرية ما بعد الحداثة عامة وهذا ماجاء في تحليلات الكثير من علماء الاجتماع المعاصرين من أمثال "رايت ميلز" وخاصة في تصوراته حول الخيال السوسيولوجي الذي حاول أن يصف مرحلة ما بعد الحداثة بأنها ظهرت مع نهاية العصر الحديث.

ـ وخلال عقدي الستينيات والسبعينيات تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة لتمتد جذوره الفكرية إلى مجالات أخرى غير علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد،ويظهر في كتابات العديد من العلماء المعاصرين من أمثال "جيفري باراكلوف"،كما ظهر استخدام مفهوم ما بعد الحداثة في الدراسات الادبية والثقافية وعلوم الآثار والفنون والمسرح ولاسيما تلك التحليلات التي امتازت بالاتجاه النقدي .

كما تعتبر اهتمامات بعض علماء الاجتماع الامريكيين البارزين من أمثال "امتاي اتيزيوني"،مصدرا فكريا متميزا لنظرية ما بعد الحداثة ولا سيما ما تناوله في كتابه المجتمع الفعال الذي حاول فيه أن يفسرمجموعة التغيرات التي حدثت في المجتمع الحديث وخاصة في مجال التكنولوجيا والاتصال والتنظيم.

ـ أما خلال الثمانينات والتسعينات فلقد تطورت العوامل الفكرية والثقافية التي أثرت على تحديث أفكار نظرية ما بعد الحداثة ولا سيما تلك الافكار التي ارتبطت بالحداثة وما بعد الحداثة والتي تتطلع جميعها لظهور نظرية نقدية تعالج القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والادبية من منظور مختلف ومتميز عن النظريات السوسيولوجية والاجتماعية و التقليدية والمعاصرة.

رواد نظرية ما بعد الحداثة:

لقد جاءت آراء العديد من العلماء لتعبر بوضوح عن حصيلة قيمة من أفكار متعددة طرحت بواسطة نظرية ما بعد الحداثة أمثال ديليز ولاكالين وميوتي وجيوتري ،ولكننا سنخص بالذكر بعض هؤلاء العلماء ليمثلوا هاته النظرية

جون بودريارد:

عالم اجتماع معاصر ذو جنسية فرنسية تعددت اسهاماته كغيره من علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين ،وإن كانت تحليلاته توصف كثيرا بأنها تبنت الاتجاه النقدي ولاسيما في حملته ضد الماركسية وغيرها من النظريات السوسيولوجية الكبرى له عديد المؤلفات منها كتاب المجتمع الاستهلاكي وكتاب نسق الاشياء ويمكن فيما يلي الاشارة لأهم آرائه بشيء من الايجاز:

أ- التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة:

وقد جاءت آرائه مرتبطة أولا بتفسيره للحداثة فلقد أشار لتوضيح مفهوم الحداثة،باعتبارها خاصية أو سمة من سمات الحضارة والتي يقصد بها أنها شيئا ضد التقليدية،ولقد حاول بودريارد أن يوضح كيفية اهتمام العلماء بفكرة الحداثة كما جاءت في تصورات أنصار ما بعد البنيوية من أمثال فوكو.وفي إطار تحليلاته لعمليات التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة سعى إلى دراسة كيفية تحول المجتمعات من مرحلة

الرمزية إلى المجتمعات الانتاجية ،عالج كذلك قضايا أخرى مثل العمليات والممارسات الحياة اليومية تلك الثورة على أساليب الحياة ، والخطابات المؤسساتية والاتصال.
وبإيجاز سعى بودريارد لتحليل تصورات وأفكار ما بعد الحداثة عندما اهتم بدراسة المجتمع الاستهلاكي،ومظاهر الاتصال،وتحليله لأنماط الانتاج الرأسمالي، والثقافي، والتكنولوجي، وأنساق الضبط والسيطرة والثورة المعلوماتية والانماط الترفيهية الاعلامية.

ب ـ استراتيجية الهلاك:

حاول بودريارد في استراتيجية الهلاك أن يصور كيفية تطور المجتمع الحديث نتيجة لعملية تطور محاكاة الاشياء الواقعية كما ظهر ذلك في مرحلة رأسمالية الاستهلاك.وفي الواقع حرص بودريارد على أن يركز على عملية المحاكاة ليتصور أن الناس أفقدوا التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه وإن كانت آراء بودريارد عن نظرية الاستهلاك وحديثه عن ما يعرف بنهاية التاريخ وإختفاء الانتاج الرأسمالي،والوقع الاجتماعي،أو ماحدده بنهاية الواقع الاجتماعي،أو مايعرف بموت علم الاجتماع،وغير ذلك من أفكار لأن الكثير من آراء بودريارد جاءت لتعكس عمليات المحاكاة التقليدية كنوع من مظاهر التحديث أو الحداثة التي تتم بصورة دورية،وتلك الفكرة التي استمدها بودريارد من بعض انصار نظرية ما بعد الحداثة مثل كنتييه الذي تصور أن هناك فترات معينة من تاريخ الجنس البشري تحدد مراحل هذا التاريخ لإعادة ظهور مرحلة تاريخية أخرى أكثر حداثة فالحداثة تعني مرحلة أو عملية من التغير والتطور والابداع وإن كان بودريارد وصف المرحلة الحالية ما بعد الحداثة بأنها تمثل ذلك النوع من نهاية مراحل أو مجتمعات جديدة أخرى.وإن كانت هذه الفكرة(استراتيجية الهلاك)تغلب عليها طابع الغموض والخيال والبعد الميتافيزيقي في تفسير الواقع الاجتماعي.

جون فرانسوا ليوتارJean-François LYOTARD

الفرنسي متخرج من جامعة السربون بفرنسا من أهم المهتمين بمجال سياسات النقابات العمالية تأثر بآراء الفيلسوف كانط ،جاء أول مؤلفاته ليتناول الفينومينولوجية عام 1954أثرت فيه حياته بالجزائر حيث تلقى تعليمه الاساسي لينظم بعد عودته لفرنسا إلى التنظيمات السياسية الاشتراكية تعددت مؤلفاته في مجال مابعد الحداثة وكان من اهتماماته كتابه عن حال ما بعد الحداثة الذي نشر سنة 1984ومجرد لعبة وصدر عام 1985والاختلاف الذي نشر سنة 1988رفض الافكار والنظريات التي تقوم على العمومية كما ان اسهامات ليوتار قد ركزت على إبراز دور نظرية ما بعد الحداثة والتي شملت جميع تحليلاته المتنوعة كما انتقد بشدة العديد من النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حاولت أن تؤكد وجود نظرية شمولية يمكن بها دراسة جميع أنماط المعرفة.فلقد أخذ حال ما بعد الحداثة برؤية نقدية تحليلية للنظريات الاجتماعية العامة والتي تمثلت في كتابات ماركس وفرويد.
إن معالجات ليوتار على أية حال لحال ما بعد الحداثة تعكس اهتماماته بدراسة أحوال المعرفة التي توجد في المجتمعات المتقدمة الرأسمالية،ولهذا يؤكد بأن استخدامه لمفهوم ما بعد الحداثة.
ولقد سعى ليوتار لظهور علم خاص يرتبط بسوسيولوجيا ما بعد الحداثة وإن كان هذا العلم لا يزال في مرحلته الاولى بحسب تصور أيان كريب ولم تتبلور معالمه بصورة واضحة.كما تعكس آراء ليوتار حول سوسيولوجيا مابعد الحداثة من خلال تركيزه على اللغة والمعرفة والادب،وهذا ما سعى لتحليله بصورة خاصة في اشارته لظاهرة ثورة المعلومات والتي من خلالها يمكن استخدام المعرفة لدراسة البناءات والنظم الاجتماعية.

Scott Lash سكوت لاش

يرى لاش بإمكانية طرح الافكار والتصورات المرتبطة بالحداثة في إطار نظرية سوسيولوجية معاصرة، ويمكن أن تكون بديلا للنظريات السوسيولوجية التقليدية أو غيرها من النظريات المتعددة الانتماء بين العلوم الاجتماعية ولاسيما الفينمونولوجية أو الاثنوميثودولوجية فلقد حاول أن يعالج في كتابه سوسيولوجيا ما بعد الحداثة كثيرمن القضايا ،وقد سعى لتحديد فيه لتحديد ماهية سوسيولوجيا مابعد الحداثة حيث تخلى عن الكثير من الافكار التي طرحها غيره من رواد مابعد الحداثة والذين ربطوا الحداثة بالفلسفة والسياسة والاقتصاد والادب والفنون وأيضا علم الاجتماع.ويحدد سوسيولوجيا الحداثة باعتبار أن العلم يتكون من ثلاث مقولات أو أفكار أساسية مرتبطة بعضها البعض وهي بإيجاز:

1- فكرة التغير الثقافي : وذلك بإعتبار أن عملية التحديث ما هي إلا عملية تعكس التباين والاختلاف الثقافي بينما فكرة ما بعد الحداثة تعتبرالعملية التي تهتم بدراسة التباين أو التمايز الثقافي.

2- فكرة النمط الثقافي: هذا بإعتبار أن الحداثة ما هي إلا حصيلة عملية التكوين الثقافي،أما ما بعد الحداثة فإنها تعالج الجزئيات أو العناصر الداخلية التي تشملها عملية التكوين الثقافي.

3- فكرة الحراك أو التنقل الاجتماعي: بإعتبار أن هذه العملية ما هي إلا المنتج الخاص بعملية الحداثة وذلك لإرتباطها بالافراد أو الجمهور الثقافي،أما ثقافة ما بعد الحداثة فإنها تتميز بخصائص وسمات معينة والتي تتميز بها الطبقات والفئات الاجتماعية التي تنوعت بصورة كبيرة خلال مراحل ما بعد الحداثة.

كما أعطى لاش اهتماما ملحوظا بدراسة ثقافة ما بعد الحداثة وخاصة عندما اهتم بمعالجة النظرية النقدية الكلاسيكية والتي جاءت في أفكار مدرسة فرانكفورت.

نيكوس ميزليس:

أستاذ علم الاجتماع بمدرسة لندن للاقتصاد له عديد المؤلفات مثل النظرية التركيبية السوسيولوجية والذي نشر سنة1990تندرج أهمية تحليلاته تحت نطاق ما بعد الحداثة ولكنها تأخذ منحى آخر عن بقية التحليلات السابقة، فما يتضح من كتابات ميزليس مدى حرصه الشديد على العودة إلى النظرية السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة.

سعى ميزليس لتحليل العديد من الافكار البارسونزية وحاول أن يصنف إسهامات ونظريات بارسونز حول مكونات هذه الفكرة بالاضافة إلى آراء ماركس أيضا،كما سعى إلى تحليل العديد من الاسهامات في مجال النظرية الاجتماعية والتي لم تفهم بارسونز بصورة كاملة،كما سعى إلى وضع إطار فكري وتصوري يمكن من خلاله إرشاد وتوجيه أصحاب النظريات الاجتماعية للعودة مرة أخرى وبإيجاز إن محاولة ميزليس تعتبر من المحاولات التي يمكن أن نطلق عليها مابعد الوظيفية أو مايعرف بالوظيفية المحدثة.

تقييم نظرية ما بعد الحداثة:

لقد جاءت طبيعة ظروف المجتمع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والادبية والفنية لتعكس حصيلة اهتمامات رواد ما بعد الحداثة.كما أنها لم تظهر من فراغ بل جاءت اهتمامات العديد من روادها لتعكس عدد من النظريات والنزعات السائدة التي كانت خلال الحرب العالمية الثانية وقد جاءت كرد فعل للنزعات التي ركزت على انهيار القيم الثقافية والجمالية.

جاءت عملية تتطور نظرية ما بعد الحداثة بصورة تاريخية وهذا ما ظهر من خلال استخدامات هذا المفهوم الذي ظهر في تحليلات عدد من المؤرخين البارزين أمثال "سيمور فيل" .إلا أن الاهتمام بأفكار ما بعد الحداثة قد تطورت خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بعد ظهور الدراسات السوسيوتاريخية والسوسيوثقافية وهذا ما ظهر في الولايات المتحدة الامريكية في كتابات "روزنبرج" في كتابه عن الثقافة الجماهيرية وتطورت في تحليلات "دريكر" عن تحليله لمرحلة مجتمع ما بعد الصناعة.

لقد لعبت تحليلات أنصار النظرية النقدية الكلاسيكية والمعاصرة دور بارزا في ظهور ما بعد الحداثة من خلال مدرسة فرانكفورت ورآء "رايت ميلز" عن الخيال السوسيولوجي. كما تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة خلال الستينيات والسبعينيات وأصبح موضوع اهتمام الكثير من أنصار هذه النظرية الذين وجدوا في الادب والثقافة وخاصة النقد الادبي موضوعا خاصا لإبراز مرحلة أو مجتمع ما بعد الحداثة.وهذا ماظهر في مجموعة الثقافات المضادة للثقافات السائدة ويعكس عموما مرحلة التمرد الفكري من جانب مجموعة كبيرة من روادها بمحاولة طرح أفكار وأطر تصورية ومرجعية جديدة تختلف كلية عن مرحلة الحداثة.

ان كثير من آراء أصحاب النظرية جاءت لتحليل الواقع الاجتماعي وذلك من خلال إعادة تحليل آراء النظريات السوسيولوجية مثل آراء ماركس الاصلية.كما لاحظنا أن بعض الآراء جاءت من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي وهذا ما جاء في آراء ليوتار وتصوراته حول استراتيجية الهلاك .بالاضافة إلى ذلك جاءت محاولات بعض رواد نظرية ما بعد الحداثة لتعيد الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية وهذا ما ظهرعلى سبيل المثال في آراء ميزليس.

خاتمة

وفي خولصة لهذا البحث نكون قد تعرفنا على مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة كما تمكنا من التمييز بين مفهوم الحداثة والتحديث وما بعد الحداثة ، كذلك ما بعد الحداثة كنظرية سوسيولوجية نقدية معاصرة إستمدت أفكارها وتصوراتها من ظروف فكرية محدثة ومن خلال عوامل ساهمت في بلورتها حيث حاولت أو بالأحرى حاول روادها تفسير الواقع الإجتماعي وهــذا ما جــاء في تنــوع مداخلها التحليلية لدراســة الظواهــر الإقتصاديــة و التكنولوجية والثقافيــة والسياسية والإجتماعيــة ، كمــا تعرفنا على البعض من روادها أمثال ليوتار .وفي الآونة الأخيرة ظهرت كتب كثيرة تبحث في مرحلة ما بعد الحداثة، وأثرها في الحياة العامة وبشكل خاص في الثقافة والآداب والفنون.

المحاضرة السابعة: نظرية ما بعد البنيوية

مفهوم البنيويّة

ظهر مفهوم البنيويّة في أوائل القرن العشرين، وقد ظهر هذا المصطلح سنة 1929 وقد سبقه استخدام مصطلح (أبنية) من قبل الفيلسوف الروسيّ (تيتانيوف). والبنيويّة أحد المدارس اللغويّة التي كانت تتخذ مبدأً ينصّ على أنّ اللغة هيَ بنية ارتباطيّة قائمة بذاتها، وهيَ تستمد عناصرها وقيمتها من توزيع اللغة في النصوص أو الخطاب. وقد تطوّرت البنيويّة فأصبحت تقوم بدراسة مجالات مختلفة كالمجتمعات، والعقول، والآداب، والأساطير، فتعمل على دراسة ظواهر هذه المجالات من حيث ترابطها الداخليّ وتطوّرها عبرَ التاريخ، وتدرس كيفيّة تأثّر هذه المجالات بالبنى الخاصّة بها على طريقة قيامها بوظائفها. ويمكن تلخيص البنيويّة في عدّة مبادئ منها:

تعدد المعنى: فالبنيويّة تهمل المعنى وتهتم بالنظم والنسق، فقد يقدم كلّ مؤلف نظرته الخاصة عن البنية.

الاهتمام بالسياق: فالبنائيّة تهتم بشكل كبير بالسياق، وتنظر للكلمة بأنّها غير ثابتة المعنى وقد يتغيّر المعنى الذي تهدف له حسب سياقها.

المرونة: إذ إنّ مصطلح البنيويّة خضع لأكثر من وصف، فهو مرن وفي الوقت ذاته لا يخلو من الإيهام والاختلاط.

ما بعد البنيويّة :

إنّ ما بعد البنيويّة مصطلح متعلّق بحركة نشأت في فرنسا في أواخر الستينات، إذ تتعلّق هذه الحركة بموضوعات النقد الأدبيّ وموضوعات الفلسفة، وهي تتبنّى اعتقاداً بأنّ اللغة ليست وسيلة واضحة ومباشرة لإيصال الحقيقة أو الواقع، إنّما هيَ بنية أو شيفرة تمتلك معنى عن طريق التباين بين أجزاء اللغة نفسها وليس بارتباطها بالعالم الخارجيّ. تعتمد ما بعد البنيويّة على مجموعة من النظريات والعلوم هي: النظريّات اللغويّة لصاحبها فرديناند دي سوسور، وعلم الأنثروبولوجيا للعالم كلود ليفي ستروس، ونظريّات ديكيدا التفسيريّة. ومن أشهر كتّاب ما بعد البنيويّة: رولاند بارت، وجاك لاكان، وجوليا كريستيفا، وميشيل فوكو.

السيميولوجيا في ما بعد البنيويّة :

تدلّ كلمة السيميولوجيا على العلم المرتبط بالعلامات والدلالات، فهيَ مصطلح ذات أصلٍ يونانيّ، والكلمة مركبة من جزئين هما (sémeion) بمعنى العلامة، و (logos)بمعنى الخطاب أو العلم. ويطلق عليه العرب مصطلح السيميائيّة أو علم الإشارات، وهيَ أحد المناهج التي تسعى لدراسة العلامات اللسانيّة وغير اللسانيّة، كما أنّه يقوم بدراسة الشيفرات والأنظمة التي تساعد على فهم الأحداث والأدلّة بوصفها علامات دالة لها معنىً محدد، وتعمل على دراسة علاقة العلامات بالأنماط المختلفة في حياة المجتمع. ويعود تاريخ السيميولوجيا إلى بداية إدراك الإنسان القديم للعالم المحيط به وإقدامه على التواصل معه، أمّا السيميولوجيا كعلم فقد نشأ على يد عالم اللغويّات السويسري فرديناند دو سوسور، وعالم المنطق الأمريكيّ تشارلز ساندرز بيرس في الزمن الحديث، وساعد على انتشارها التيار البنيويّ الذي ساد في القرن العشرين. وأحد أشهر الدراسات التي تتعلّق بالسيميولوجيا هيَ تلكَ التي أخذت تتوسّع وتتعدى ارتباطها

باللسانيات فقط، حتى اشتملت أنظمة الدلالات المختلفة، وهيَ ما تسمّى بسيميولوجيّة بارت، وهي مكوّنة من أربعة عناصر رئيسيّة هيَ:
اللغة والكلام: فرّق علماء السيميولوجيا بينَ اللغة باعتبارها مجموعة من الأنظمة والقواعد التي تمتلكها مجموعات بشريّة للتواصل، وبينَ الكلام الذي يعرّفوه بكونه التجلي التطبيقيّ للأنظمة اللغويّة.
الدالّ والمدلول: يوضّح بارت العلاقة بين الدال والمدلول في علم السيميولوجيا بكونهما مختلفان ومتقابلان، فالدالّ لا يمكن أن يكون مدلولاً، وهما مرتبطان بالمعنى الوظيفيّ، ويعني ذلكَ بأنّ الدلالة هيَ العلامة التي ترتبط بالاستعمال في موضع معيّن، ولا أهميّة لها دونَ وجودها مع الدال في وقت معيّن. **المركب والنظام**: يربط السيميولوجيون بينَ اللغة والكلام والعلاقات التركيبيّة لهما، إذ تتمثل هذه العلاقات بالتراكيب التي تتكون من مجموعة من الكلمات المترابطة معاً، وإذا حدث ترابط بينَ هذه التراكيب بشكلٍ متسلسل فإنّه ينشأ عنها ما يُسمّى بالنظام.
التقرير والإيحاء: يُفيد التقرير والإيحاء بفهم الدلالة الإيحائيّة للنصّ، ويتسع هذان المفهومان ليشكلا مفهوميّ التعبير والمضمون. فالتعبير هو الذي يدلّ على الجانب اللغويّ الخارجيّ أو الغلاف الذي يجسّد الفكرة بصورة مختلفة، كالغلاف الصوتيّ، أو الحركيّ، أو الخطيّ. أمّا المضمون فدوره مرتبط بالفكرة التي تقدمها اللغة التعبيريّة.

التفكيكيّة في ما بعد البنيويّة:

أحد الجوانب الدراسيّة لما بعد البنيويّة هيَ الحركة التفكيكيّة، إذ تعرف بأنّها حركة بنيانيّة وضد بنيانيّة، وذلك لأنّها تعمل على تفكيك الخطابات والنظم الفكريّة بهدف الوصول إلى محور معانيها ومقاصدها، أي إنها تعمل على فكّ الارتباط بهدف النظر في خبايا الشيء وفهمه. ويتخذ التفكيك عدّة مظاهر، فأحياناً يظهر بصورة فلسفيّة، أو سياسيّة، أو فكريّة، أو على شكل أسلوب في القراءة. والقراءة التفكيكيّة تهدف لخلق شرخ بينَ ما يعرضه النص بشكل صريح، وبينَ ما يحمله من معانٍ خفيّة، كما أنّه يهدف إلى الوصول لأساس الشيء ومصدره لكشف حقيقته المخفيّة. وتعدّ التفكيكيّة أحد أهمّ الحركات في النقد الأدبيّ، فقد نشأت كنقد للبنيويّة ذاتها، وذلك في منتصف الستينات من القرن الماضي، فقد كانت نتيجةً للتمرد الذي سادَ في الفكر الأوروبيّ آنذاك، ومن أشهر ممثليها: جيل دولور، وجاك لاكان، وجاك دريدا، وفيليكس غاطاري، وميشال فوكو. ومن أهمّ ما قامت عليه التفكيكية هو ما جاءَ به الفيلسوف نيتشه، ومن أهمّ المبادئ التي بنت التفكيكيّة عليها أفكارها:
مبدأ جينالوجي: وهو مبدأ مرتبط بالتاريخ والأخلاق، وهيَ تهدف للحفر وراء الظواهر بهدف الكف عن المحركات الخفيّة.
نقد التمركز: وهو المبدأ الذي يقوم بنقد وجود شيء محوريّ أو مصدر متعالٍ للحقيقة المطلقة.

الجذور الفكرية لنظرية مابعد البنيوية:

جاءت هذه النظرية كرد فعل لمجموعة الظروف والعوامل التي ظهرت خلال الستينات من القرن العشرين.ولهذه النظرية جذور فكرية متعددة تعد بمثابة المصدر الأساسي لطرح القضايا والمسلمات التي تقوم عليها،هذه الجذور تمثلت في:

1- الجذور الفلسفية:

إن المصدر الفلسفي المعاصر للنظرية تمثل في تحليلات أحد مفكري وفلاسفة القرن التاسع عشر وهو "فريديريك نتشيه" الذي عاصر أفكار كارل ماركس. وجاءت تصوراته مرتبطة بأفكار مابعد البنيوية، خاصة إنتقاده الشديد لروح الحضارة الحديثة.

وبالتالي كانت أراء نتشيه قائمة على الطابع الشكي ضد النتائج العقلية والعلمية التي تقومعلى تزييف الوعي،وكان أحد المصادر الأساسية التي استحدثت منها نظرية ما بعد البنيوية تصوراتها وأفكارها.

2-الجذور الثقافية:

جاءت أفكار نظرية مابعد البنيوية نتيجة لمجموعة من التحليلات التي ارتبطت بتفسير الثقافةالغربية القائنة على أساس التميز الطبقي، وما نتج عنها من تزييف للوعي الفردي الذي يقومعلى الطاعة العمياء لما تدعيه الطبقات العليا، وهذا ماجعل الكثير من العلماء يتخذون موقفا شكليا وتحليليا، كما يسمى بالدورالذي تركه عصر التنوير والإصلاح في قيام الحضارة الغربية. و اعتبر أنصار النظرية أن الإيديولوجيا تعتبر الإطار العام الذي ينظم أساليب التفكير الفرديوالجماعي والسيطرة عليها عن طريق اللغة.

3-الجذور الفكرية:

اتخذت النظرية تصوراتها من التحليلات التقليدية التي تركتها النظرية البنيوية ولا سيماأفكار التوسير، التي تركز على أنساق المعنى والإشارات دون تفسير كيفية الظبط والسيطرةعلى إستخدام اللغة.

وعليه أنصار مابعد البنيوية أعادو تفطيرهم عند تحليل المعاني وكيفية السيطرة عليهاإيديولوجيا، و ذلكعن طريق تحليلهم للرموز والإشارات ودلالاتها اللغوية، وهذا ما ظهر في أفكار"دريدا" وانتقاده للنزعة التمثيلية اللغوية.

أهم الإسهامات التي قدمها رواد النظرية:

1-ميشال فوكو والبنيوية الثقافية:

جاءت أراء"فوكو"كلها مندرجة تحت ما يمكن أن نسميه بتحليلات عالم الفكر الإنساني الذييشمل عناصر وأفكار تأملية متنوعة، وهذا ما يعكس إهتماماته بالتغيرات التي تحدث داخلالنسق وبناءات المعرفة وتصنيفها في المجتمعات البشرية وخاصة الحديثة منها ومن أهم إسهاماته:

أ-كتابات مابعد البنيوية المبكرة:

إهتم خلالها بدراسة طبيعة وكيفية تطور وحدوث عمليات الفكر الإنساني خلال مراحلالتحول للمجتمعات الرأسمالية،وكيف اهتم العقل الإنساني بدراسة العلاقات المتداخلة بينالأشياء في العالم الحديث،وهو يتماثل مع كثر من تحليلات علماء الإجتماع الذين عالجو
كيفية تطور العقل الإنساني.

حاول فوكو تطوير الأنثروبولوجيا البنيوية التي وضعها العالم الفرنسي الشهير"ليفيستراوس " واصبحت جزءا اساسيا من التراث العلمي للبنيوية أو لتحليلات أنصار مابعد
البنيوية.

كما حاول وضع نظرية ثقافية إبستمولوجية أو ما يعرف بابستيمولوجيا العلوم الإنسانية التيترجع نشأتها إلى دراسة ثقافية التاريخ، ما سهل عليه وضع مجال جديد من مجالات المعرفةالإنسانية وهو الدراسة التاريخية للثقافة، وخير مثال على اهتماماته هو كتاب"تاريخ الجنون"الذي يعتبر محاولة لابستيمولوجية المرض والجنون، حاول فيكو من خلاله تحليل طبيعة الثقافة الأوروبية من وجهة نظر فلسفية ومعرفية وثقافية وطبيعية في نفس الوقت. كما اهتم" ميشيل فوكو" بدراسة تنظيم الخطاب المؤسساتي.....

ب-المنهج عند فوكو:

إن أنصار مابعد البنيوية يركزون على التحليل الثقافي للغة والمعاني والمفردات والخطابالمؤسساتي وغير ذلك من تحليلات اهتمت بالمنهج الذي اختلف نسبيا عن المناهج التحليلية المستخدمة في النظريات السوسيولوجية الكبرى. وعليه فإن منهج نظرية مابعد البنيوية يماثل العديد من النظريات السوسيولوجية

التي استخدمت خلال مرحلة ما بعد البنيوية كالنظرية الفينومينولوجية والأثنوميتودولوجية.
وبالتالي حرص""فيكو" على الإعتماد على المنهج الوصفي في دراسته للحياة الإجتماعية وصف قواعد العالم التي تقوم على مسلمات ميتافيزيقية فلسفية،وهذا ما استعاره من نظريةالصراع، وسعى فوكو من خلالها لتطوير منهجيته وخاصة في تحليلاته الحديثة لما بعد البنيوية.

2-جاك دريدا ونظرية المعاني:

يعتبر جاك دريدا من علماء النظرية الذين ركزوا على اللغة،على الرغم من انتماءاته الفلسفية و اعتباره أحد الفلاسفة الذين وجدوا في اللغة والنقد الأدبي اتجاها فكريا ونظريا يمكن من خلاله دراسة طبيعة العالم الحديث. حرص دريدا على استخدام اللغة ولاسيما المعنى في توجيه أفكاره وتصوراته العامة كغيره من أنصار مابعد البنيوية.وسعى دريدا لإقامة نظرية حول المعاني والتي تؤكد على أن المعنى يكمن دائما في مكانآخر، وهو ليس مرتبط بأي شيء من خارج ذاته كما أن العالم الذي نشاهده أمامنا قد صنعلنفسه مجموعة من المعاني وليس بواسطة أي شيء آخر على الإطلاق..
ولذا فإن أنصار مابعد البنيوية منهم دريدا ينكر بعض الأفكار المرتبطة بمفهوم الإشارة،مثلاالبنية تعتبر شيء ثابت ومنتظم،وعند دريدا يرى أنه لا وجود لشيء ضمني ولا وجود لشيءثابت،وينتج عن هذه الفكرة الكثير من الفوضى واللامعنى التي تجعل الحياة كلها فوضى لا معنى لها.
ولذا حاول أنصار ما بعد البنيوية إضفاء شكل من أشكال النظام للسيطرة على هذهالحياة، ومن خلال نظرية المعاني حاول دريدا أن ينظر إلى أي نظام قائم على أنه ناتج عن عملية التمايز للفوضى.

3- هيرست بول ومجال الفعل الاجتماعي:

جاءت آراء بول مشاركة مع زميله هندس، فقد حاول طرح تصوراتهما في إطارجديد من الأفكار التي تحاول أن تخرج بعيدا عن سيطرة التحليلات اللغوية، والتي تندرج تحت إطار نظرية المعاني.ولقد جاءت آراء هرست وزميله في نظرية ما بعد البنيوية لتنتقد بشدة آراء التوسير البنيوية القائمة على فكرة التراث والتمسك بمجال تحليل المعاني العامة، وغير ذلك منالأفكار ذات الطابع الميتافيزيقي تسعى لتفسير الواقع الاجتماعي من جوانب خاطئة ولاسيما التركيز على مجال الفعل الاجتماعي وما يتضمنه من معاني ترجع إلى التراث.ولهذا جاءت تصورات هيريست وهندس لتعيد تحليل أراء التوسير حول الذات التي سيطرت كثيرا على تحليلاته بصورة عامة، في كتابه المميز عن التوسير ونظريتهالأيديولوجية أن يستخلص نتيجة هامة وهي: إننا في حاجة ماسة إلى الاقتناع التام بتصورنا عن الذات باعتبارها صانعة لأفعالها وليست مسيطرة عليها حسب آراء التوسير بقدر ما أن هذه الذات تعتبر المسؤولة عن الأفعال حتى لو خضعت للتعديل أو التغير.وعليه انتقد هرست آراء التوسير وتصورها أنها نوع من التحليلات الإيديولوجية التي تحاول أن تضفي على الذات الفردية إيديولوجيات معينة دون دراستها وتحليلها وجعل الفرد وذاته خاضعة تماما للإيديولوجيات الراهنة دون إبداء أي رأي أو تفسير عن ذلك من قبل الأفراد.

تقييم نظرية ما بعد البنيوية

بالرغم من أهمية نظرية ما بعد البنيوية في مجال آراء النظرية السوسيولوجية المعاصرة، إلا أنها وجهت لها جملة انتقادات، غير أن هذه الانتقادات لا يمكن أن تؤثر على أهميتها بصورة عامة، وهي بإيجاز :

1- اهتمت معظم تحليلات نظرية ما بعد البنيوية باللغة والمعاني وتحليل الخطابات ودراسة النقد الأدبي والثقافي، وهذا ما جعلنا ننظر إلى التحليلات النظرية أنها تمثل نظرةاجتماعية خالصة، بقدر ما جاءت اهتماماتها لتعكس آراء الكثير من الفلاسفة وعلماء اللغة والأنثروبولوجيا، وبالتالي اعتبرت نظرية اجتماعية أكثر منها نظرية سوسيولوجية..

2- سعت النظرية إلى محاولة تفسير أراء الماركسية وإعادة طرح أفكارها في صورة حديثة إلا أنها أخفقت في ذلك.

3- جاءت معظم أفكار ما بعد البنيوية كامتداد للبنيوية، وهذا ما يجعلنا ننظر إليها على أنهاإعادة وصف وتحليل للبنيوية التقليدية، مع تركيزها على الجانب النقدي لآراء التوسير دون الاهتمام بتحليل الأفكار والافتراضات الأساسية التي قامت عليها البنيوية

4- تميزت أراء وتحليل النظرية بالغموض وعدم الدقة في المفاهيم واللجوء إلى التفسيرات الميتافيزيقية كتحليلاتها للمعاني واللغة.

5- لم تخرج كثيرا منهجية وفلسفة ما بعد البنيوية عن نظرية الصراع الماركسية ورؤيتها لطبيعة الصراع في المجتمعات الحديثة والذي لا يخرج بعيدا عن رؤية ماركس.

المحاضرة الثامنة: الماركسية المحدثة

الجذور الفكرية للنظرية الماركسية المحدثة:

ترجع الجذور الفكرية الماركسية المحدثة من الناحية التاريخية إلى إسهامات الماركسية التقليدية،ومحاولة تحديث أفكارها وافتراضاتها التصورية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر.وثانيا: إن الكثير من الأفكار التصورية للنظرية بنيت على افتراضات العديد من النظريات الراديكالية النقدية التي بدأت خلال الثلاثينات من القرن العشرين خاصة منذ ظهور أفكار مدرسة فرانكفورت.ثالثا: جاءت معظم تحليلات أنصار الماركسية المحدثة مرتبطة بالتغيرات التي حدثت في المجتمع الأمريكي خلال بداية الخمسينات وحتى بداية السبعينات من القرن الماضي، ولم تعد التفسيرات البنائية الوظيفية المعاصرة قادرة على تقديم مبررات واقعية لطبيعة التغيرات التي تتزايد داخل المجتمعات الأوروبية التي جعلت من النظرية البنائية الوظيفية موجها إيديولوجيا لها.إضافة إلى أن هناك مجموعة من العوامل أدت إلى ظهور الماركسية المحدثة نذكر منها

1- تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصورية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتغيرة

2- ظهور عدد من العلماء الشبان الغربيين الذين انبهروا بنظرية الصراع لكن اعتبروهاأداة للتغير والتحديث، لا كما نظر إليها ماركس لأن الصراع في داخله يحمل احترام للنظام والسلطة

3- أراد أنصار الماركسية أن يقوم علم الاجتماع ويطور ذاته عن طريق دراسته لعناصرالصراع والتغير مركزين على التوفيق بين الماركسية التقليدية التي تركز على الصراع والوظيفية البنائية التي تركز على التوازن النسقي

مفهوم النظرية الماركسية المحدثة:

هي تلك النظرية والآراء التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية لغرض الحفاظعلى الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة لسقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديدمن الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم تحقيق تنبؤ كارل ماركس بسقوط الرأسمالية التي سيحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية.وقد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف في معنى الصراع الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العملوأصحاب السلطة الذين يمتلكون وسائل الإنتاج من أجل أن تصبح هذه الوسائل ملكا لجميع الأفراد، أما الماركسيون المحدثون فيرون أن الصراع يحمل في طياته مضمون احترام للنظام والسلطة واعتبار الصراع أداة للتغيير والتحديث.

رواد النظرية الماركسية المحدثة

1- دافيد لوكوود : النسق والطبقية في المجتمع الحديث:

جاءت إسهامات لوكوود حول النسق والطبقية في المجتمع الحديث من خلاله تقديمه لرؤى ماركسية محدثة لطبيعة العناصر البنائية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة والتي ترتبط بالطبقة والنسق الاجتماعي، وتمثلت اهتماماته في:

أ- نقد نظرية النسق: حيث تطرق في مقال شهير له بعنوان "بعض ملاحظات على نظرية النسق الاجتماعي"، إلى نقد نظرية بارسونز الوظيفية حول النسق الاجتماعي محاولة منه لتقديم رؤية جديدة في

الصراع تطرح عددا من المعايير النظامية، وتتمثل فيعملية حرب الكل ضد الكلء، والتي طرح فيها العديد من القضايا والمسلمات ووظفها فيتشكيل الإطار المرجعي للمجتمع الرأسمالي الحديث، ونظريته تعتبر امتداد لنظرية الفعلماكس فيبر، إلا أن بارسونز استطرد كثيرا لجعل النسق الاجتماعي نسقا معياريا، وركز على العمليات التي من خلالها يتم ضبط بناء الدوافع معياريا للمحافظة على الاستقرار الاجتماعي، وهو بذلك أهمل مجموعة المصالح المتصارعة التي تكون هذا المستوى التحتي من طبيعة مغايرة للمصالح التي يسعى الفاعل إلى تحقيقها.ولذلك فالمستوى التحتي يأخذ عملية تحقيق المصالح أسلوبا مغايرا لأسلوب ومقترح بارسونز المعياري الذي يهدف للمحافظة على الفرد ذاته أو الموقف المجتمعيفي نظر لوكوود.

ب- الطبقة والصراع الطبقي : سعى لوكوود وزملاؤه لتحليل ثلاث مظاهر أساسية للطبقة الاجتماعية وهي المظاهر الاقتصادية والمعيارية والعقلانية عن طريق تحليل موقف السوق ومكاسبالعمال العالية بالرغم من تدني وضعهم الاجتماعي و المهني بالنسبة للفئات المهنية والمتوسطة. أما المظاهر العقلانية تتمثل في قلة مشاركة العمال في المناسبات الاجتماعية.أما المظهر المعياري: يتضمن مجموعة من القيم والاتجاهات والمعايير السلوكية أو

مستويات الجماعات، تلك المستويات التي لم تستطع فئة العمال تحقيقها بصورة أفضل من الفئات المهنية المتوسطة.وعليه توصل الباحثين أن عملية الحصول على أجور مرتفعة لا يعني تغير في القيم والاتجاهات للدخول في طبقات اجتماعية أعلى أو جديدة، كما لم تؤدي هذه المكاسبإلى زيادة طموح العمال ليصبحوا من أصحاب الطبقات العمالية المهنية العلياء وهذا مايعكس عدم واقعية رؤية ماركس حول تطلع الطبقات العمالية لتصبح طبقة اجتماعية جديدة.

2- رالف داهرندروف والصراع في مجتمع ما بعد الرأسمالية:

ترتبط تحليلاته بالماركسية المحدثة وذلك نتيجة لمجموعة من المؤثرات الفكرية والأيديولوجية والاجتماعية التي عاصرها خلال تنشئته الأولى في المجتمع الألماني. ومن أهم إسهاماته قدم:

أ- نظريات المجتمع theories of societies : ركز خلالها على دراسة نظرية الصراع باعتبارها نقطة أساسية.

ب- تركيزه على تحليل محددات ومصادر الصراع الفعال ودراسته لوسائل النظم الاجتماعية التي يمكن أن تجعل بعض الجماعات أكثر تنظيما وفاعلية.بالتالي إسهامات رالف في النظرية السوسيولوجية المعاصرة ولاسيما الماركسية المحدثة متنوعة يصعب عرضها بصورة مستفيضة لذلك نحاول أن نوجز أهم الإسهامات

فيما يلي:

أ- التغيرات البنائية في مجتمع ما بعد الرأسمالية :حاول من خلاله أن يضع تصور نظري وواقعي لتفسير متغيرات التغير والتطور والتنمية التي تحدث في مجتمع ما بعد الرأسمالية، كما حاول تأييد آراء ماركس حول الصراع الطبقي القائم بين أصحاب العمل أو بين من يملكون أو لا يملكون.كما حرص على تحليل الصراع بين الجماعات الاجتماعية المتصارعة حولالمصالح وتوزيع الموارد الاقتصادية والمالية والسياسية.وعليه فالصراع حسب رالف يتم في إطار عملية توزيع السلطة والقوة في إطارالعمليات النظامية والجمعية للجماعات الاجتماعية، ولا يمكن فهم الصراع بأنه يبنى علىعلاقات الملكية فقط حسب رأي ماركس.

ب- الحراك والصراع الطبقي: حاول رالف طرح نظريته عن الصراع الطبقي من خلال اعتماده على عدد منالمتطلبات الاجتماعية البنائية والسياسية والاقتصادية والسيكولوجية، والتي عن طريقهاتتم عملية الحراك نحو الصراع الفعال سواء من الجماعات أو المؤسسات أو التنظيمات الاقتصادية أو الصناعية أو السياسية.كما حاول تحليل الصراع داخل الدولة وخاصة عندما حلل نوعية الصراع الذي ينشأ بين من

يصدرون الأوامر وبين من يقومون بتنفيذه واستعمله خاصة أثناء تحليله للدول البيروقراطية.

ج- اليوتوبيا و النظرية السوسيولوجية:

اهتم داهرندروف باليوتوبيا، واعتبرها كأداة للتفسير والتحليل التي يمكن عن‌طريقها فهم الواقع الاجتماعي، عن طريق طرح عدد من التصورات المثالية أو الخيالية عن ما ينبغي أن يقوم عليه المجتمع. ورأى رالف أن زمن اليوتوبيا انتهى وانتهى معه أنماط المجتمعات التي تركز على دراستها أو تنمي النزعات اليوتوبية ظهورها بالفعل.وهذا ما جعل النظريات البنائية الوظيفية والماركسية تتصور بنوع من الخيال واقع المجتمعات الحديثة، لذلك يجب إعادة صياغة النظرية السوسيولوجية لتخرج من عالم اليوتوبيا وتعيد تأهيل ذاتها وتحليلها للواقع الاجتماعي، ويكون هذا عن طريق تبني نموذج‌بديل يمكن عن طريقه تقديم الكثير من الحلول للمشكلات المطروحة، وهذا ما يمكن الاعتماد عليه في نموذج الصراع الذي طرحه رالف لتفسير واقع المجتمعات الحديثة وفهم‌عمليات التغير والصراع.

3- لويس كوزر والتفسير الطبقي للصراع:

تناول كوزر الصراع الاجتماعي في المجتمعات الحديثة وركز على أصل الصراع الاجتماعي، ونتائج ووظائف الصراع.

أ- أصل الصراع الاجتماعي:حاول كوزر في دراسته للصراع الاجتماعي أن يولي اهتمام أكثر من غيره من منظري الصراع كماركس ودهرندروف، ودافيد لوكوود وخاصة الدور الذي تلعبه عواطف الناس في تولد الصراع الاجتماعي، والتي استمدها من فكرة جورج سيمل والتي‌تدور حول مدى تأثير عواطف الناس على ظهور الصراع العدائي وخاصة بين الأفراد الذين تجمعهم علاقات قوية، حيث تظهر مظاهر الحب والكراهية بصورة واضحة في إطار هذه العلاقة والتي تنتج عن طبيعة هذه العواطف فحاول كوزر توضيح طبيعة تكوين الصراع الاجتماعي الذي يتغير ويتطور بصورة سريعة نتيجة لعواطف الناس. كماحلل كوزر أصل الصراع ونشأته وأنماطه المختلفة التي تظهر حسب طبيعة المواقف الاجتماعية وأنواعها، والتي تختلف طبقا لنوعية النظم والأدوار الاجتماعية،والتي حرص في تفسيره للعلاقة المتداخلة بين العوامل البنائية التي تؤثر في عمليات‌التفاعل بين الناسء، والتي ينتج عن طريقها العديد من مظاهر الصراع الاجتماعي للمجتمعات الحديثة. ويرى كوزر أن الصراع الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ليس صراع على الملكية كما زعم كارل ماركس، بل صراع على القيم وطلب المكانة والموارد النادرة بحيث لا يكون بوسع هذه الجماعات المتصارعة تحقيق القيم المرغوبة فحسب، بل تحييد وإيذاء أو حتى إقصاء الجماعات المتنافسة. وبالتالي تكوين جماعات الصراع هو تحقيق القيم المرغوبة وعليه فنظرية الصراع تتضمن مواقف تشمل صراع المصالح ويمكن للطرفين الفوز فيها بالتوصل إلى اتفاق.وعليه فالصراع الاجتماعي عند كوزر يؤدي إلى نتائج وتحقيق وظائف الذي قاده افتراضه إلى وصف الأوضاع الاجتماعية، التي تؤدي إلى ظهور آثار معينة للصراع فيظل أوضاع المجتمع المفتوح الذي يتميز بواقعية الصراع والأوضاع التي تؤدي إلى تفجير الصراع في ظل أوضاع المجتمع المغلق الذي يتميز بالجمود وعدم واقعية قضايا الصراع وبهذا الفهم ميز كوزر بين أنواع الصراع ومنها:

أ- الصراع الخارجي:

هذا النوع يؤدي إلى وحدة الجماعة ويعتبر عنصرا أساسيا في تماسكها، كما تصوره ماركس في أن الصراع وحده فقط يمكن خلق وعي ذاتي طبقي.- ورأى كوزر أن الصراع الخارجي غالبا ما يحدث نوعا من تقوية الروابط والعلاقات داخل الجماعة، لأنه يدفع الأفراد نحو تماسك جماعتهم وزيادة وعيهم الجمعي، كما حاول‌أن يطرح العديد من مظاهر التفكك السلبية التي تؤثر على الجماعة في حال عدم مشاركة أعضائها في تحقيق وحدتها.

ب- الصراع الداخلي:حرص كوزر على تحليل مظاهر الصراع ونتائجه ووظائفه على غرار كتابات الوظيفيين والماركسيين الذين ينظرون إلى الصراع على أنه يعكس مظاهر الخلل والانحراف الذي يظهر

بين أعضاء الجماعة، ومنه فالجماعة تحرص على ضرورة تماسكها عن طريق وجود مجموعة من المعايير التي تعمل على تماسك وبناء الجماعةوالصراع الداخلي يعتبر صمام أمن من نجاح حدوث مظاهر الإحباط التي تؤدي إلى انهيار الجماعة كنسق أو كبناء مستقر.ومن خلال ما سبق يمكن القول أن أراء كوزر حول الصراع الاجتماعي لاتزال تعتبر نقطة انطلاق العديد من رواد النظريات السوسيولوجية الأخرى، ولاسيما تلك الآراء التي حدثت الفكر الماركسي التقليدي حول الصراع.

4- فرانك باركن القيم والصراع في المجتمع الحديث:

لقد حاول فرانك أن يربط بين القيم والصراع، وطبيعة العلاقة المتبادلة بينهما فيالمجتمعات الحديثة، في إطار تقديم رؤى ماركسية محدثة أكثر واقعية مع اتخاذها للعديد من الأفكار والتحليلات البنائية الوظيفية والماركسية التقليدية كنقطة انطلاق أساسية. فلقد جاءت آراء فرانك حول القيم والصراع في أحد مؤلفاته "اللامساواة الطبقية والنظام السياسي والتدرج الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية" محاولة منه للعودة إلى أفكار وتصورات ماركس الأصلية، حيث حاول تحليل المصادر الاجتماعية التي تؤدي إلى حدوث الاستقرار في المجتمعات الحديثة.

وسعى باركن خلالها لتوضيح سبب السيطرة على الجماعات المحرومة، والتي تتمعن طريقمجموعة منالميكانيزمات والعوامل المتداخلة التي تشمل الحراك الاجتماعيالتي يتم تلقينها
للطبقات المحرومة عن طريق النسق التعليمي.

ما دفع باركن إلى تفسير مظاهر وأساليب ظهور اللامساواة التي تظهر فيالمجتمعات الحديثةمن خلال تحليل النظام المعياري،

ومحاولا أن يبرهن على تصوراته العامة عن طريق استخدامه الكثير من الشواهد الواقعية وتطوير الأساليب البحثية والمنهجية

المعتمدة على البيانات الإحصائية ليكشف عن الكثير من الحقائق التي ترتبط بتصوراته النظرية للقيم الصراع في المجتمعات

الحديثة.كما حرص باركن ليبرهنعلى أفكاره والتي حاول أن يثبت فيها أن أنساق القيم الثابتة التي تتبناها الطبقات العاملة سواء

في المجتمعات الرأسمالية أو الاشتراكية هيالأنساق المسيطرة على الفكر أو الوعي الطبقي للعمال، وأن هذه الأنساق تم استيعابها عن

طريق عمليات التنشئة الاجتماعية والمهنية.

5- راندل كولينز وتحليل الصراع:

يرى كولنز أن دراسة الصراع يجب أن تعتمد على الواقع، وأن تتضمن عملية التحليل العلاقات السببية، التي يمكن أن تعكس الواقع.واعتمد كولنز في محاولته على بناء نظرية في الصراع تكون أكثر شمولا، اعتمد فيها على مصادر متنوعة من أهمها: كتابات ماركس، وماكس...وتوصل كولنز إلى الافتراضات الآتية:

أ- الإنسان كائن اجتماعي ولكن أيضا صراعي.

ب- يوزع النظام الاجتماعي الأفراد حسب المصادر المتاحة لكل منهم.

ج- تتنافس الجماعات الميتافيزيقية على تملك أكبر قدر مما هو مرغوب فيه .

د - يحاول كل فرد تعظيم مكانته الذاتية بما يمكن أن يحصل عليه من الموارد المتاحة ذات القيمة.وعليه فالصراع هو نتيجة سببية لعدم المساواة في الملكية، وعلى هذا الأساس كل طرف في العملية الصراعية يقوي مكانته وموقعه بتعظيم وتحقيق مصالحه، واستخدامختلف الوسائل للسيطرة بما في ذلك القهر وتزييف وعي الآخرين وإنتاج نمط ثقافي يعزز تميزه، مقابل هذا يحاول المحرومون وفاقدو القوة تغيير الوضع القائم،هذان الموقفان المتناقضان يولدان عملية الصراعكما يجمع كولنز بين المستوى الفردي

والجماعي في تناوله لعملية الصراع ويأخذبمصادر متنوعة للصراع تشمل جميع الجواني،علما أن قيمة كل من هذه كمسبب للصراع تعتمد على الواقع والإطار الثقافي الذي يحدد ما له قيمة وما هو مرغوب فيه.

تقييم النظرية:

وجهت للنظرية جملة انتقادات، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1- بالرغم من أن الماركسية المحدثة جاءت كرد فعل لكل من النظرية الماركسية التقليديةوالبنائية الوظيفية، إلا أن الماركسية المحدثة لم تستطع الاستفادة كاملة من الإطار المرجعي أو فهمه بصورة واقعية.

2- تم تفسير العديد من المفهومات الوظيفية والماركسية بصورة معكوسة وسطحية، ولم تفلح نظرية الصراع لتكون بديلا تحليليا يمكن الاعتماد عليه في الدراسات السوسيولوجية أو الاستغناء عن النظريات السوسيولوجية الكبرى الوظيفية والماركسية .

3 - اعتمدت النظرية على الكثير من آراء وأفكار البناتية الوظيفية من ناحية والماركسية التقليدية من ناحية أخرى، ولم تقدم أي نموذج أو بديل لكل منهما، لذلك فمعظم أفكار رواد الماركسية المحدثة متصارعة مع بعضها البعض.

4- اعتمدت على المفاهيم المرتبطة بالنسق الاجتماعي، الصراع الطبقي، القيم، المكانة المصالح، الأدوار وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالوظيفية والماركسية التقليدية ولم تفلح في وضع مفاهيم ومصطلحات خاصة بها .

5- اعتماد النظرية على إجراء الدراسات والبحوث التطبيقية والميدانية لبيان وجهة نظرهم إلا أنها لم تجد إلا الافتراضات الوظيفية والماركسية موجها عاما لها.

6- تبنت الماركسية المحدثة الصراع كمدخل تحليلي لدراسة القضايا والمشكلات الواقعيةإلا أنها اعتبرته نتاجا للظروف المجتمعية والواقعية دون وصف تحليل هذه الظروف التي يمكن من خلالها فهم الصراع كأداة للتغيير والتطور.

قائمة المراجع و المصادر

1- المراجع باللغة العربية:

أ- كتاب عرب:

- شحاتة صيام.**النظرية الاجتماعية: من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، القاهرة:مصر العربية للنشر و التوزيع، 2010.

-عبد الله محمد عبد الرحمان.**النظرية في علم الاجتماع**، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،2006.

- محمد عبد الكريم الحوراني. **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، عمان: دار مجدلاوي،2007.

- مصطفى خلف جواد. **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية،2011.

ب- كتب مترجمة:

- بودون (ريمون). **أبحاث في النظرية العامة في العقلانية**، تر:جورج سليمان، بيروت:مركزدراسات الوحدة العربية،2010.

- بورديو (بيير) . **الرمز و السلطة**، تر:عبد السلام بن عبد العالي، الدار البيضاء:دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة،2007.

- تورين (آلان).**نقد الحداثة**، تر:أنور مغيث، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

- جونز (فيليب). **النظريات الاجتماعية و الممارسات البحثية**، تر: محمد ياسر الخواجة، القاهرة:مصر العربية للنشر و التوزيع،2010.

- كريب (إيان). **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، تر:محمد حسين غلوم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،1999.

- لومان (نيكلاس).**مدخل إلى نظرية الانساق**، تر: يوسف فهمي حجازي، بغداد: مشورات الجمل،2010.

- لوميل (يانيك). **الطبقات الاجتماعية**، تر: جورجيت الحداد، بيروت:دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.

- ليفي ستروس(كلود).**الإناسة البنيانية**، تر: حسن قبيسي،الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي، 1995.

المراجع باللغة الأجنبية:

- BAUDRILLARD(Jean). **Pour une economie politique du signe**, PARIS :gallimard,1972.

- BAUMAN (Zygmunt). **le cout humain de la mondialisation**, trad de l'anglais :A.Abdenour, PARIS :hachette,1999.

- BECK (Ulrich). **La société du risque :sur la voie d'une autre modernité**, trad de l'allemand :L.BERNARDI, PARIS :ed.aubier,1986.

-BERGER (Peter.L). **comprendre la sociologie :son role dans la société moderne,**PARIS : ed. Resma, 1963.

- BERGER (Peter.L) LUCKMANN(Thomas). **La construction sociale de la réalité** , PARIS :armand colin,troisième édition,2012.

- BERTHELOT (Jean-Michel). **Sociologie :epistémologie d'une discipline**, BRUXELLES : de boeck, 2000.

- BOUDON (Raymond). **La logique du social :introduction a l'analyse sociologique**, PARIS :hachette, 1979.
- BOUDON (Raymond).**l'inégalité des chances :la mobilité sociale dans les sociétés modernes**, PARIS :armand colin,2eme édition,1973.
- BOURDIEU (Pierre). **La distinction :critique social du jugement**, PARIS :minuit , 2003.
- BOURDIEU (Pierre). **La noblesse d'état :grandes ecoles et esprit de corps**,PARIS :minuit,1989.
- BOURDIEU (Pierre). **Ce que parler veut dire :l'économie des echanges linguistiques**, PARIS :minuit,1982.
- BOURDIEU (Pierre), PASSERON (Jean-Claude). **Les héritiers :les etudiants et la culture**, PARIS :minuit,1964.
- DE CERTEAU (Michel). **L'invention du quotidien**, premier tome :arts de faire, PARIS :union générale d'édition,2001.
- DE COSTER(Michel). **Introduction a la sociologie**, BRUXELLES :ed.de boeck, 6eme edition, 2006.
- CICOUREL (Aaron.V). **la sociologie cognitive**, PARIS :puf,1979.
- COSER (Lewis). **Les fonctions du conflit social**, PARIS :puf,1982.
- COULON (Michel). **L'éthnométhodologie**, PARIS :puf,1987.
-CROSIER(Michel),FRIEDBERG(Erhard).**l'acteur et le système :les contraintes de l'action collectives**, PARIS :le seuil,1992.
- DAHRENDORF (Ralf).**classes et conflits de classes dans la société industrielle**, PARIS :mouton,1972.
- FREUND(Julien).**sociologie de max weber**, PARIS :puf,1968.
- GOFFMAN(Erving).**la mise en scène de la vie quotidienne**, PARIS : minuit,1973.
- LAHIRE(Bernard).**l'esprit sociologique**, PARIS :la decouverte,2005.
- LYOTARD (Jean-François).**la condition post-moderne**, PARIS : minuit,1979.
- MERTON (Robert.K).**éléments de théorie et de méthode sociologique**, 2eme édition,PARIS :plon,1965.
- OLSON(Mancur).**logique de l'action collective**,PARIS :puf,1978.
- TOURAINE(Alain).**production de la société**, PARIS :seuil,1973.